سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (82) | 14 / 4 /2013 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

حريق لكل السوريين

منظمة إنسانية تناشد الأمم المتحدة أن تنقذ أطفال سوريا

ناشدت منظمة (أنقذوا الأطفال) أعضاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أن يفعلوا المزيد من أجل أطفال سورية وقالت إن مليوني طفل سوري تقريبا بحاجة للمساعدة بسبب الحرب الدائرة هناك منذ عامين.

وانقسم مجلس الأمن على نفسه منذ تفجر الصراع إذ تستخدم روسيا الحليف الوثيق للرئيس السوري بشار الأسد ومعها الصين حق النقض (الفيتو) لعرقلة أي إدانة لحكومة الأسد أو محاولة لفرض عقوبات عليها.

وقالت منظمة (أنقذوا الأطفال) في تقرير قدم إلى المجلس الذي يضم 15 دولة 'منذ تفجرت الأزمة في سوريا كان الأطفال هم الضحايا المنسيون يواجهون القتل والصدمة والمعاناة ويحرمون من المساعدات الإنسانية الأساسية. '

وأضاف التقرير 'يتزايد تعريض الأطفال مباشرة للأذى كما يجري تجنيدهم من جانب الجماعات المسلحة والقوات (الموالية للحكومة). هناك تقارير عن استخدام أطفال في سن الثامنة كدروع بشرية. '

وذكر التقرير أن المخاطر التي تحيق بالأطفال تبدأ قبل مولدهم إذ تتعرض المستشفيات والعاملين في مجال الرعاية الصحية للهجمات وتحجم النساء عن الذهاب للمستشفيات. وأضاف أن نحو مليوني طفل سوري في حاجة للمساعدات.

وقال التقرير 'يعني هذا أن المزيد من حالات الولادة تتم في المنزل في غياب قابلة ماهرة' مضيفا أن الحصول على الغذاء مشكلة خطيرة أيضا تعاني منها العائلات السورية.

وفي الشهر الماضي قالت (أنقذوا الأطفال) وهي منظمة خيرية غير حكومية مقرها الولايات المتحدة إن أطفال سوريا يتعرضون لإطلاق النيران والتعذيب والاغتصاب.

وقالت كارولين مايلز المديرة التنفيذية للمنظمة في مقابلة إن الرسالة الرئيسية التي أبلغتها لمجلس الأمن هي أنه يجب تحسين سبل توصيل مواد الإغاثة ودفع أموال المساعدات التي تم التعهد بها.

وذكرت مايلز أن 'التعهدات بحماية الأطفال في سورية لا تزال غير ممولة فعلياً'. مضيفة أنه لم يتوفر التمويل سوى لأقل من ثلاثة في المئة من مجمل التعهدات بحماية وتعليم الأطفال في سورية. جاءت تصريحات مايلز بعد أن قالت الأمم المتحدة يوم الجمعة أن الأموال المخصصة للإنفاق على الإعداد الكبيرة من اللاجئين السوريين في الأردن والدول المجاورة على وشك النفاد في أقوى تحذير تصدره المنظمة الدولية بهذا الشأن. وقالت مايلز إنها طلبت من أعضاء مجلس الأمن الضغط على كافة أطراف الصراع ومن بينهم الحكومة السورية لتحسين سبل توصيل المساعدات وهي مسألة وصفتها بأنها أصبحت مسيسة بدون داع. وتابعت 'هناك وسائل لضمان توصيل المساعدات ومواد الإغاثة. ' وذكرت أن الأطفال يتعرضون للاستغلال الجنسي وأن بعض الآباء يقولون إنهم يزوجون بناتهم لحمايتهن.

واستطردت 'نذكر الناس (في مجلس الأمن) أن هؤلاء بشر حقيقيون يعانون. '

ولم يرد دبلوماسيو مجلس الأمن - الذين وصفتهم مايلز بأنهم كانوا 'هادئين' نسبياً خلال الاجتماع الذي جرى في مقر بعثة ألمانيا في الأمم المتحدة - على الفور على طلبات بالتعقيب. وقالت مايلز إنها ستواصل الضغط على المجلس. وحث تقرير (أنقذوا الأطفال) المجلس على "التوحد خلف خطة تضع نهاية للعنف وتضمن وصول المساعدات الإنسانية للأطفال في شتى أنحاء سوريا. '

كما ناشد مختلف أطراف الصراع بالسماح بلا قيود بالوصول إلى المدنيين الذين يحتاجون المساعدة. ويقول دبلوماسيون في الأمم المتحدة إن حكومة الأسد رفضت فكرة حرية تحرك عمال الإغاثة خشية أن تستخدم هذه الممرات لنقل الأسلحة لمقاتلي المعارضة.

كما دعا التقرير قوات الأسد ومقاتلي المعارضة إلى الكف عن تجنيد الأطفال وتسريح أي طفل مجند في صفوفهم وضمان عودته لأسرته.

الأمم المتحدة: لاجئو سوريا في لبنان تجاوزوا 400 ألف
الأردن اللاجئون السوريون عبء على القطاعات الخدمية

قال وزير الداخلية الأردني حسين المجالي، إن اللاجئين السوريين المتواجدين على أراضي المملكة باتوا يشكلون عبئاً ثقيلاً على مختلف القطاعات الخدمية في بلاده، مؤكداً أن الأردن لن تغلق حدودها أمامهم.

وذكر بيان صادر عن وزارة الداخلية أن المجالي أكد خلال لقائه المدير العام لمنظمة الهجرة الدولية وليام سونج، أن اللاجئين السوريين المتواجدين على الأراضي الأردنية باتوا يشكلون عبئاً ثقيلاً على القطاعات التعليمية والصحية والبنية التحتية وسوق العمل، وضغطاً على موارد الدولة المحدودة. وأوضح أن الجانبين بحثا سبل مواجهة تداعيات الأزمة السورية وآثارها الاقتصادية والإنسانية التي أثرت على الأردن بشكل خاص. ونقل البيان عن المجالي قوله إن الأردن بحاجة إلى دعم المجتمع الدولي للتعاطي مع آثار الأزمة السورية المتعلقة باستقبال اللاجئين السوريين وإيوائهم وتقديم جميع الخدمات اللازمة لهم في المجالات الصحية والتعليمية والأمنية وغيرها. ولفت البيان إلى أن المجالي أكد خلال اللقاء أن الأردن لن يغلق الحدود أمام اللاجئين انطلاقاً من البعد الإنساني للأزمة والثوابت الأردنية النابعة من التزاماته القومية. ويتواجد على الأراضي الأردنية حوالي 470 ألف لاجئ سوري، وتتخوف السلطات من أن يصل العدد إلى المليون بحلول العام المقبل.

من جانب آخر تجاوز عدد اللاجئين السوريين في لبنان 400 ألف نازح، وذلك وفق التقرير الأسبوعي الصادر عن مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين يوم الاثنين. وذكر التقرير أن من بين اللاجئين الـ400 ألف، 262 ألف مسجل، و140 ألفاً في انتظار التسجيل. ولفت إلى أنه تم تسجيل نحو 12 ألف شخص لدى المفوضية خلال هذا الأسبوع. وبحسب التقرير الأممي فإن اللاجئين يتوزعون على مناطق مختلفة من لبنان، حيث يقطن حوالي 113 ألف لاجئ في شمال لبنان، فيما يقطن نحو 99 ألفاً آخرين في منطقة البقاع شرقاً، و28 ألفاً في العاصمة بيروت، و20 ألفاً في الجنوب اللبناني، ولم يوضح التقرير باقي الـ 400 ألف موزعين في أي مناطق.

وبيّن التقرير أن الجهود الرامية إلى تسريع عجلة عملية التسجيل في مختلف مواقع التسجيل الأربعة التابعة للمفوضية أسفرت عن زيادة في عدد الأشخاص المسجلين يومياً خلال الأسبوع الماضي، مشيرة إلى تسجيل أكثر من 1200 شخص في اليوم في البقاع على مدار الأسبوع الماضي. ووفقاً للمرصد السوري لحقوق الإنسان فإن آلاف الأشخاص قتلوا منذ اندلاع الأزمة السورية في آذار 2011، فيما لجأ الآلاف إلى البلدان المجاورة كالأردن والعراق وتركيا ولبنان. ويعاني لبنان من انعكاسات الأزمة السورية وتدفق النازحين السوريين إلى أراضيه، الأمر الذي دفعه إلى اللجوء للمجتمع الدولي والعربي لمساعدته في تحمل أعباء النازحين.

افتتاح مخيم ثان للاجئين السوريين في الأردن بعد مخيم الزعتري وتركيا تنشئ مخيمين لأقليات سوريا

افتتح الأردن الأربعاء ثاني مخيم رسمي للاجئين السوريين، ويقع المخيم الجديد في منطقة مريجب الفهود شمال شرق عمان، وسط استمرار تدفق اللاجئين هربا من أعمال العنف في بلادهم. وافتتح الأردن في يوليو / تموز الماضي أول مخيم في منطقة الزعتري. ويتوقع أن يصل عدد اللاجئين السوريين في الأردن إلى 1، 2 مليون في نهاية 2013.

وقال أنمار الحمود الناطق الإعلامي لشؤون اللاجئين السورين في الأردن أن "المخيم الجديد بدأ باستقبال اللاجئين السوريين اعتباراً من يوم الأربعاء حيث نقلت إليه دفعة أولى مؤلفة من 106 لاجئين كانوا قد دخلوا الأراضي الأردنية مساء الثلاثاء مع 1306 لاجئين سوريين آخرين".

وأضاف أنه "سيتم نقل اللاجئين القادمين تباعاً إلى المخيم الجديد خصوصا الحالات الخاصة التي تحتاج إلى عناية مركزة كالنساء الأرامل والأطفال الأيتام والأفراد الذين هم بلا معيل والعائلات التي لا تضم شباناً عزاباً".

وأوضح الحمود أن "المخيم الجديد الذي بني بتمويل من دولة الإمارات يقع على أرض تبلغ مساحتها 250 دونما ويستوعب 5500 شخص ويضم 750 كرفانا (عربة متنقلة) ومدرسة نموذجية ومستشفى تخصصيا"، مشيراً إلى أن "هناك وعود بتوسيع المخيم، في حال استمرار تدفق اللاجئين، كي يتسع ل30 ألف شخص أو أكثر لأن الأرض المخصصة لإقامة المخيم تبلغ مساحتها الكلية 13 ألف دونم".

وبحسب الحمود فإن عدد اللاجئين السوريين في مخيم الزعتري، الذي يقع في محافظة المفرق شمال المملكة على مقربة من الحدود السورية تجاوز ال150 ألف شخص.

وأكد أن عدد اللاجئين السوريين في المملكة منذ اندلاع الأزمة في بلادهم في آذار / مارس 2011 وحتى الآن "تجاوز ال482 ألف شخص".

وتابع أنه "إضافة إلى هذا العدد هناك 600 ألف سوري موجودون فوق أراضي المملكة قبل اندلاع الأزمة، وفقا لبيانات مديرية الأمن العام".

وكان الأردن، الذي يتقاسم مع سوريا حدودا مشتركة يزيد طولها على 370 كيلومترا، افتتح في 29 تموز / يوليو الماضي أول مخيم للاجئين السوريين على أراضيه في منطقة الزعتري قرب الحدود مع سوريا.

ويقطن الكثير من اللاجئين السوريين في مساكن مؤقتة شمال الأردن أو لدى أقارب أو أصدقاء لهم في هذا البلد المجاور.

وأفادت تقديرات جديدة للأمم المتحدة الجمعة أن عدد اللاجئين السوريين في الأردن يمكن أن يصل إلى 1، 2 مليون لاجئ بحلول نهاية العام الحالي.

وقدرت الأمم المتحدة عدد اللاجئين حالياً في الأردن بـ385 ألفاً منهم 250 ألف طفل.

وقالت متحدثة باسم منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (يونيسيف) الجمعة "نتوقع أن يزيد هذا العدد عن الضعف بحلول تموز / يوليو ويتضاعف ثلاث مرات بحلول كانون الأول / ديسمبر".

وأكدت المفوضية العليا للاجئين في جنيف هذا الرقم الذي سيعادل خمس سكان الأردن.

واعتبرت الأمم المتحدة أن عدد النازحين داخل سوريا بسبب النزاع القائم بلغ نحو أربعة ملايين، يضاف هؤلاء إلى نحو مليون و200 ألف لاجئ أجبروا على مغادرة بلدهم إلى الأردن ولبنان وتركيا والعراق.

من جهة أخرى، تعكف تركيا على إنشاء مخيمين على حدودها الجنوبية الشرقية مع سوريا لاستضافة أعداد متزايدة من اللاجئين المنتمين لأقليات سورية، خاصة الأكراد والمسيحيين، بحسب مسؤول حكومي.

وقال المسؤول الذي يعمل في وزارة الخارجية التركية التي لم تذكر اسمه إنه سيتم إنشاء المخيمين، في أقل من شهر، ببلدة مديات التي تقع في إقليم ماردين الجنوبي الشرقي على بعد حوالي 50 كيلومتراً من الحدود السورية.

وسجل 250 ألف سوري أسمائهم كلاجئين في تركيا، ويعيشون في 17 مخيما، لكن الحكومة التركية تقول إن عددهم وصل إلى 400 ألف لاجئ.

ومن المقرر أن يؤوي أحد المخيمين الجديدين، وتبلغ سعته 2500 شخص، لاجئين مسيحيين أشوريين، إلى جانب لاجئين من طوائف مسيحية أخرى. ويبنى هذا المخيم على أرض فضاء بالقرب من كنيسة أشورية.

وتوجد في تركيا أقلية أشورية يعيش أغلبها في ماردين واسطنبول.

وقال المسؤول إن "المخيم أنشئ بناء على رغبتهم". واجتمع رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان مؤخرا بقادة آشوريين في تركيا.

وستكون سعة المخيم الثاني 3000 لاجىء، وسيخصص للاجئين سوريين أكراد، لكنه سيستوعب لاجئين عرب أيضا، بحسب المسؤول التركي.

ويقع إقليم ماردين، الذي يقطنه عدد كبير من الأكراد، على حدود منطقة سورية بها تركيز كبير من الأكراد.

وتبلغ نسبة المسلمين السنة، وبينهم عرب وأكراد، في سوريا نحو 75 في المئة من السكان البالغ عددهم 22 مليون نسمة. وتمثل بقية الطوائف المسلمة حوالي 15 في المئة أغلبهم من العلويين وبعضهم من الشيعة والدروز.

وعشرة في المئة تقريباً من سكان سوريا مسيحيون بالإضافة إلى أقلية يهودية صغيرة. ويمثل العرق الكردي (مسلم سني) نحو عشرة في المئة من السكان.

أوجاع وطن

«الدويلة العلوية» وأبواب جهنم

■ ناصر اليوسف

يكثر الحديث - في الآونة الأخيرة - عن دويلة تخطط «عصابة آل الوحش» لإقامتها في المناطق الغربية من بلدنا الحبيب، لكي تنتقل إليها، عندما يفلت زمام الأمور - في دمشق - من يدها.

إن تكالب «العصابة» على مدينة حمص وريف حماة الغربي، وتشديدَ قبضتها الفولاذية على محافظتي طرطوس واللاذقية، ومحاولاتها المستميتة لتحويل ثورة الحرية والكرامة إلى حرب طائفية، والمراسيمَ التي صدرت مؤخرا بشأن إعادة رسم خريطة سورية، وانخراط الطائفيين من إيران ولبنان والعراق بشكل مشكوف في حرب «العصابة» ضد الشعب السوري، إن ذلك كله يدفع إلى الاعتقاد بأن «العصابة» ومؤيديها وضعوا خطة إقامة «الدويلة العلوية» حيز التطبيق.

وبهذه المناسبة، وانطلاقا من قناعتي الراسخة بأن «عصابة آل الوحش» تسير خطواتها الأخيرة في طريقها المسدود، وبأنها تمتلك من الخسة والهمجية والنذالة ما يكفي لتوريط العلويين في خيار لا يمكن لعاقل أن يقبله، أود أن أشارك الآخرين بما أفكر فيه لكي أريح ضميري.

إن الخوض في هذا الموضوع الشائك يتطلب تسمية الأشياء بمسمياتها. وأنا على ثقة بأن من يقرأ هذه الخاطرة - حتى نهايتها - سوف يفهم أن حرصي على الوطن وعلى اللحمة الوطنية، هو ما دفعني إلى المصارحة.

لنفترض جدلا أن ثمة بين العلويين أكثريةً تفضل الانسلاخ عن الوطن، والعيش في دويلة طائفية مستقلة.

ولنفترض أن ما أشيع - عن أن «العصابة» خزنت في الجبال الساحلية كميات كبيرة من المواد الغذائية، والأسلحة التقليدية وغير التقليدية - صحيح.

ولنفترض أن ما أشيع عن حصول «العصابة» على ضمانات من القوى الإقليمية والدولية، بحماية «الدويلة» الموعدة - صحيح أيضا.

فما الذي سيحدث في اليوم التالي لإعلان الدويلة؟

يعرف السوريون أن سكان المناطق الغربية من سورية، بما فيها الساحلية، ليسوا فقط من العلويين والمسيحيين. فهناك نسبة كبيرة من السنة. وبهذا فإن إقامة الدويلة العلوية، سوف يعني للكثيرين أن السنة وقعوا تحت الاحتلال النصيري. وعندها سوف تنهال الفتاوى بوجوب «نصرة» أهل السنة في الساحل السوري؛ الأمر الذي يفتح أبواب جهنم على مصراعيها.

سوف يتقاطر «المجاهدون» رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق؛ من جماعة أبي سياف في الفيليبين، وحتى القاعدة في المغرب الإسلامي، مرورا بـ«طورا بورا»، و«طالبان» أفغانستان وباكستان، والـ«قاعدة» في الجزيرة العربية، والرافدين، وبلاد الشام. وسوف يسعى كلٌ من هؤلاء إلى نيل الشهادة في سبيل نصرة الدين الحق، وإعلاء كلمة الله.

وتفيد خبرات العقود الماضية بأن «ضمانات» القوى العظمى لا تنفع مع «المجاهدين» في شيء. إذ لا تزال تجارب «الاتحاد السوفياتي - أفغانستان» و«الولايات المتحدة - أفغانستان» و«الولايات المتحدة - العراق»، لا تزال هذه التجارب ماثلة أمام كل من يريد أن يتعظ من تجارب الآخرين.

يا إخوتي العلويين!!

إن هذا ليس تخويفا ولا تهويلا؛ بل هو السيناريو الواقعي الوحيد.

فهل نحن بحاجة لمثل هذا المستقبل القاتم؟

يا إخوتنا!

أنتم لم تجيئوا إلى سوريا لدى اغتصاب «العصابة الأسدية» السلطةَ في البلاد،

أنتم أبناء هذه الأرض الطيبة منذ بداية الخليقة.

قفوا وقفة تأمل وتعقل!

لا ترهنوا مستقبلكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم بمستقبل هذه «العصابة» الهمجية المجرمة.

انفَضّوا عنها، واتركوها تواجه مصيرها الذي اختارته بمحض إرادتها المريضة.

ألمانيا تعرض استقبال 5000 لاجئ سوري

رحبت أحزاب سياسية معارضة ومنظمات والمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بإعلان حكومة المستشارة أنجيلا ميركل عزمها استقبال خمسة آلاف لاجئ سوري خلال العام الجاري، ووجهت هذه الهيئات - في الوقت نفسه - انتقادات لإعلان وزير الداخلية هانز بيتر فريدريش إعطاء أفضلية لطلبات اللاجئين المسيحيين.

ووصل عدد اللاجئين السوريين في ألمانيا حالياً - وفقا للإحصائيات الرسمية - إلى نحو 40 ألف لاجئ، وأعلنت وزارة الداخلية أن البلاد ستستقبل ثلاثة آلاف لاجئ جديد في يونيو / حزيران القادم، وألفين أخريين في الخريف المقبل.

وكشف وزير الداخلية الألماني هانز بيتر فريدريش عن استعداد وفد من وزارته للتوجه خلال الشهر الجاري إلى الأردن وتركيا ولبنان لزيارة مخيمات اللاجئين السوريين فيها، واختيار المرشحين لاستقبالهم في ألمانيا من بين النازحين السوريين هناك.

ولم يحدد فريدريش - في تصريحات للصحفيين ببرلين - معايير معينة ينبغي توافرها في الراغبين للجوء ببلاده، وأشار إلى أن الأولوية ستعطى للأسر والأطفال والقصر المقيمين بلا معيل في مخيمات اللجوء بدول جوار سوريا، والأفراد والأسر الذين لهم أقارب بألمانيا، ورجح حصول المسيحيين على حصة كبيرة في اللجوء لألمانيا "لكونهم الفئة الأكثر تعرضاً لضغوط الملاحقة في سوريا".

وفي حين أشار وزير الداخلية الألماني إلى أن اللاجئين السوريين الجدد ستتم استضافتهم بألمانيا بشكل مؤقت لحين عودة الاستقرار إلى بلادهم، أبدت وزارتا الداخلية المحليتان بولايتي شمال الراين وشليزفيج هولشتاين منح هؤلاء اللاجئين إقامات مستقرة في البلاد.

ورحب قسم مساعدات الكوارث في لجنة الإغاثة التابعة للكنيسة البروتستانتية الألمانية بإعلان فريدريش، ودعا القسم - في بيان صحفي - حكومة المستشارة أنجيلا ميركل لزيادة حجم الميزانية المخصصة لاستقبال اللاجئين السوريين في البلاد، وطالبت منظمة برو أزيل لمساعدة اللاجئين الحكومة بمنح فرصة لأعداد أكبر من السوريين لبدء حياة جديدة في ألمانيا.

وطالبت المنظمة بإتاحة إمكانية استقبال الأسر السورية المقيمة في ألمانيا لأقاربهم الراغبين في اللجوء وإعالتهم، واعتبرت برو أزيل "أن تيسير هذا الأمر يتطلب استحداث الحكومة الاتحادية والحكومة المحلية بالولايات الألمانية تعديلات مرنة في قوانين الإقامة، المتضمنة شروطاً مشددة للمّ شمل الأسر الأجنبية".

وفي السياق نفسه، رحب الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الخضر المعارضان بزيادة أعداد اللاجئين السوريين في ألمانيا، وانتقد الحزبان - في الوقت نفسه - إعطاء أفضلية لطلبات اللاجئين المسيحيين، واعتبرت رئيسة الخضر كلاوديا روت - في تصريحات لصحيفة دير تاجستسايتونغ - أن "برلين ستوجه رسالة خاطئة للمسلمين في المنطقة العربية ولمسلمي ألمانيا، إذا فاضلت بين اللاجئين على أساس الدين، وأعطت انطباعا بأن أكثر ما يهمها هو مصير المسيحيين في سوريا".

ومن جانبه رحب المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بخطة حكومة المستشارة أنجيلا ميركل لاستقبال خمسة آلاف لاجئ سوري، وانتقد رئيس المجلس أيمن مزايك تركيز وزير الداخلية فريدريش على قبول المسيحيين السوريين الراغبين في اللجوء بألمانيا، وقال مزايك - المولود لأب سوري وأم ألمانية - إن "حياة الناس لا ينبغي الاهتمام بها وفقاً لأديانهم، وإعطاء أفضلية للمسيحيين في اللجوء لم ينجح مع العراقيين عام 2009، وسيوجه إشارات سلبية في الحالة السورية".

وحث رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا الحكومة الألمانية على التدخل لإنهاء الكارثة الإنسانية الموجودة في سوريا، أو تخفيفها بسرعة من خلال تقديم مساعدات إغاثية مباشرة للسوريين داخل بلادهم، ونوه بأن المساعدات الإنسانية الأوروبية شبه منعدمة داخل الساحة السورية، واقترح نقل الغذاء والدواء للسوريين في الداخل بواسطة جسر جوي أو بشكل مباشر.

وعلى صعيد ذي صلة، كشفت إحصائية للجهاز الألماني المركزي للهجرة واللجوء في نورنبرغ أن 7930 من السوريين تقدموا بطلبات لجوء في ألمانيا العام الماضي، وأشارت الإحصائية إلى أن 234 من هؤلاء تم الاعتراف بهم كلاجئين، وحصل 1753 على "حماية"، وهو وضع أقل من حق اللجوء، وحاز 5480 حماية من الترحيل.

وكانت إحصائية أخرى لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين قد ذكرت أن أعداد السوريين الذين تقدموا بطلبات لجوء في أوروبا العام الماضي، قد تضاعفت ثلاث مرات مقارنة بأعداد عام 2011، ولفتت الإحصائية إلى أن نصف هؤلاء السوريين تقدموا بطلبات لجوء في ألمانيا والسويد.

قوات الأسد تدمر مئذنة المسجد العمري رمز الثورة

تسجيلات فيديو على «يوتيوب» تظهر لحظة الانهيار وسط صراخ الناس

أظهر تسجيل مصور نشر على موقع للتواصل الاجتماعي على الإنترنت، ما يقول إنه تدمير مئذنة المسجد العمري في درعا التي يعتبرها كثير من النشطاء السوريين مهد الثورة. ويقال إن تدمير المئذنة هو نتيجة لهجوم للقوات الحكومية.

ويمكن سماع دوي إطلاق نار ومشاهدة انفجارات في تسجيل يقال إنه صُور، الجمعة، لكن تسجيلاً صُور السبت يظهر نفس المئذنة على ما يبدو وهي تنهار، بينما سُمع الناس في الشوارع يصرخون.

ويظهر تسجيل مصور آخر المئذنة المدمرة والركام حولها، بينما يُسمع صوت في التسجيل ينحي باللائمة في الهجوم على القوات الموالية لحكومة الرئيس بشار الأسد.

وخاض مقاتلو الثورة قتالاً حتى أواخر مارس / آذار لاستعادة المسجد الذي أصبح مركزاً للاحتجاجات في درعا مهد الانتفاضة على الأسد التي بدأت قبل عامين.

وتجمع المحتجون للمرة الأولى في المسجد يوم 18 مارس / آذار 2011، وبدأوا مظاهرات ضخمة مناهضة للنظام.

وتحمل معركة المسجد رمزية خاصة للمعارضة السورية، حيث تأتي قرب حلول الذكرى السنوية الثانية لاجتياح قوات الأمن للموقع في هجوم دموي على المتظاهرين.

وفي الفترة من 23 إلى 25 مارس / آذار، شن النظام السوري هجوماً دموياً على المسجد العمري خلف ما لا يقل عن 31 شخصاً.

وكان المسجد يُستخدم كمقر للاجتماعات ومستشفى مؤقت عندما بدأت قوات الأسد شن حملة على المحتجين بالهراوات في البداية، وبالذخيرة الحية بعد ذلك.

عراقيون في سوريا أمام خيارين أحلاهما مرّ: العودة إلى الوطن أو تحمّل البؤس السوري

لجأ عراقيون إلى سوريا هربًا من الخطر والموت، فوافاهم الخطر والموت إلى حيث لجأوا، ووضعهم أمام خيارين أحلاهما مرّ، أن يعودوا إلى وطنهم الذي هجرهم، أو أن يستمروا على أمل أن تتوقف الحرب السورية قريبًا.

مع احتدام الصراع في سوريا على مدى العامين الماضيين، يبدو أن العنف الطائفي والسيارات المفخّخة وصعود المتطرفين الدينيين أصبح مألوفًا جدًا، خصوصًا بالنسبة إلى اللاجئين العراقيين في البلاد. ووفقًا لتقديرات الحكومة، فرّ من العراق نحو 480 ألف شخصًا إلى سوريا، هربًا من العنف العشوائي، الذي ينتشر مثيله الآن في أنحاء سوريا كافة.

اليوم يقف العراقيون في سوريا أمام خيارين أحلاهما مرّ: العودة إلى العراق غير المستقر أو البقاء في سوريا، والأمل بأن تكون الحال أفضل.

لجوء متبادل

بين الصيف الماضي والأشهر الأولى من هذا العام، عاد نحو 70 ألف لاجئ عراقي إلى بلادهم، وفقًا للأرقام الصادرة من مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين. وخلال الفترة نفسها تقريبًا، دخل نحو 41 ألف عراقي إلى سوريا هربًا من العنف في العراق. فالأرقام تشير إلى وجود حركة متأرجحة من اللجوء بين البلدين، حيث تستعر الحروب الطائفية وإراقة الدماء.

قالت ريم السالم، المتحدثة باسم المفوضية في المنطقة: "اللاجئون من العراق يعانون المشاكل والمآسي التي يكابدها السوريون بسبب النزاع في بلادهم"، مضيفة أن العراقيين أكثر ضعفًا ومعاناة، لأن السوريين على الأقل يحصلون على بعض الدعم من أفراد أسرهم أو عشائرهم".

أمان مكلف

استقرت غالبية اللاجئين، التي وصلت في السنوات الأخيرة في دمشق، حاملة معها ذكريات حرب العراق وندوبها. فتشير أرقام المفوضية إلى أن واحدًا من كل 10 عراقيين كان ضحية للتعذيب، وأن أكثر من 60 بالمئة منهم ينتمون إلى الطائفة السنية، وفقًا لأرقام الأمم المتحدة، فيما استقر العراقيون الشيعة في منطقة السيدة زينب جنوب دمشق.

كانت تكلفة المعيشة منخفضة نسبيًا في سوريا، واستطاع العراقيون إرسال أطفالهم إلى المدرسة مجانًا، لكن لم يسمح لهم بالعمل، الأمر الذي يجعل المجتمع العراقي اللاجئ يعتمد، إما على المساعدات من المنظمات غير الحكومية أو السعي إلى وظائف بسيطة لتأمين بعض المال.

عندما اندلع الصراع السوري، حوصر آلاف اللاجئين العراقيين، لأنه لم يكن لديهم المال الكافي لمغادرة البلاد أو الانتقال إلى أحياء أكثر أمنًا. "هناك بعض الأحياء التي تعدّ أكثر أمانًا من غيرها، لذلك ارتفعت الإيجارات فيها"، كما قالت بيكا هيلر، مديرة مشروع مساعدة اللاجئين العراقيين، وهي منظمة غير حكومية تساعد العراقيين، مشيرة إلى أن اللاجئين يضطرون للبقاء في مناطق القتال لأنهم لا يستطيعون دفع الإيجار في مناطق أكثر أمنًا.

البؤس المألوف

محمد (47 عامًا) رجل عراقي كان يعمل في تصليح السيارات في بغداد، قال إنه هرب من العنف، مثل الآلاف من اللاجئين، ليجد مصيرًا لا يختلف كثيرًا في سوريا.

اعتقل محمد من قبل القوات الاميركية في العام 2004 بشكل خاطئ، كما يقول، وأطلق سراحه بعد أربع سنوات. حالما خرج من السجن في العام 2008، أخذ زوجته وأطفاله الستة، ثلاثة فتيان وثلاث فتيات، وهرب إلى سوريا.

اختار محمد، المسلم السني، السكن في حي تنتمي غالبية سكانه إلى الطائفة نفسها، وحاول الحصول على حق اللجوء إلى الدول الغربية، لكنه لم يفلح. وعندما بدأت الانتفاضة السورية، انقلبت حياة محمد رأسًا على عقب، إذ عاد ليواجه الخطر والموت مثله مثل ملايين السوريين في البلاد.

يقول: "هربنا من بؤس العراق فوجدنا البؤس نفسه اليوم في سوريا"، مشيرًا إلى أنه وعائلته لا يستطيعون التجوّل في الشارع، إذ أصيبت طفلته في أواخر العام 2011 بحروق في الصدر والذراع، بعدما وقع انفجار قربها أثناء توجهها إلى المدرسة.

بعد بضعة أشهر، أطلق قناص النار على امرأة في المبنى، الذي يقطن فيه محمد وعائلته، لأنها فتحت نافذة منزلها. أرسل محمد ابنه البكر إلى بيلاروسيا للدراسة في الصيف الماضي، وأعاد ابنتيه إلى العراق للعيش مع أقاربه في كانون الأول (ديسمبر) الماضي.

أميركا الأمل

هرب العراقيون إلى سوريا من أتون طائفي في بلادهم، لم ينحصر بين الشيعة والسنة فقط، فالأقليات في البلاد واجهت تهديدات من المتطرفين الدينيين أيضًا.

رعد يوسف، عراقي مسيحي، قال إنه هرب إلى سوريا في صيف العام 2009 مع زوجته وأربعة أطفال، بعدما قال له أفراد الميليشيات إن لا مكان له في العراق. ترك يوسف (53 عامًا) منزله ومحل إصلاح السيارات، واستقر في حي تقطنه غالبية مسيحية في دمشق. لكن سرعان ما وجد نفسه في ساحة معركة جديدة.

يقول: "نعيش المأساة نفسها التي كنا نعيشها في العراق، إطلاق النار العشوائي، الإجرام، إصابة الأبرياء والقتل في الشوارع.. وكنا اعتقدنا أننا نجونا".

في آب (أغسطس) الماضي، قرر يوسف الرحيل عن سوريا، فواجهه سؤال صعب: هل ستكون عائلته في أمان إذا عاد إلى العراق؟، فاختار أن يأتي إلى لبنان مستقرًا في أحد أحياء بيروت المسيحية، حيث يعمل في تصنيع أكياس البلاستيك، في حين أن اثنين من أبنائه يعملان في سوبر ماركت قريبة من مسكنهم. يتلقى وأسرته المساعدات من المنظمات غير الحكومية والكنائس في البلدة، لكن يوسف يأمل في أن يتم قبول طلبه باللجوء إلى الولايات المتحدة قريبًا. يقول: "عندها فقط ستنتهي معاناتنا الطويلة والخوف الذي يسكننا".

حملة أحرار وراء القضبان

■ إعداد: الفريق الإعلامي لحملة أحرار خلف القضبان

في مثل هذه الفترة من العام الماضي قام ناشطو الثورة السورية بإطلاق مبادرة يوم المعتقل السوري في يوم 7 نيسان بدلاً عن تاريخ ميلاد الحزب الحاكم في محاولة منهم لتحرير أيامنا وذاكرتنا من مناسبات السلطة وترسيخها في الأذهان السورية كمناسبات وطنية وإذ تستمر قضية المعتقل السوري لتكون في وسط الهموم اليومية للمواطن السوري وسط المداهمات والاعتقالات المتكررة فقد أطلق ناشطون هذا العام في بيان نشر على مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الثورة السورية على الانترنت حملة أحرار وراء القضبان وهي حملة للمطالبة بالمعتقلين السوريين في سجون نظام الأسد.

بدأت الحملة في السابع من نيسان واستمرت ولغاية الحادي عشر منه، وذلك عبر مظاهرات ومناشير ومبادرات عدة تقوم بها تجمعات الحراك الثوري والمدني داخل وخارج سوريا

تهدف هذه الحملة إلى تسليط الضوء على قضية المعتقلين في السجون السورية والتضامن معهم كي لا تتحول قضيتهم إلى مجرد رقم وبينا تتحدث منظمات حقوقية عدة عن انتهاكات عدّة تمارس في حق المعتقلين وورود حالات عن وفاة متكررة نتيجة التعذيب الوحشي وظروف الاعتقال القاسية ناهيك عن حوادث الاختطاف والاختفاء القسري والمحاكم الميدانية، فقد قدر مركز توثيق انتهاكات الثورة السورية التابع للجان التنسيق المحلية عدد المعتقلين لغاية اليوم بأكثر من سبع وثلاثين ألفاً. ومنهم من معتقلي الرأي والمواطنين الصحفيين والإعلاميين ونشطاء الحراك السلمي، كما طالت الاعتقالات مواطنين من مختلف شرائح المجتمع السوري على مختلف أعمارهم وانتماءاتهم.

هذه الحملة تسعى أن تكون قضية المعتقل هي احد المطالب الأساسية في أي حل سياسي مقترح ومطالبة المنظمات الدولية بالتدخل وتشكيل لجان من أجل زيارة المعتقلات في سوريا وخصوصاً في أفرع المخابرات وأقبيتها وإطلاق حملات عالمية للضغط على النظام للإفراج عنهم.

الحملات الميدانية:

في العاصمة دمشق قام نشطاء وسط التشديد الأمني الشديد وانتشار عناصر الأمن في كامل أحيائها بنشر طيور الكركي طيور السلام للمطالبة بالمعتقلين والتذكير بقضيتهم وقد حملوها في خان أسعد باشا وأحياء دمشق القديمة ووراء الجامع الأموي وأماكن متعددة.

بعض مما كتب عليها: "بِئسَ مَا تَاجٌ عَلى رَأسِ خَانِع ذَليلْ.. وَنعمَ مَا قَيدٌ فِي سَاعِدِ حُر أَبِيّ". زنوبيا (240 - حوالي 274 ميلاديّة)

و قام المكتب الحقوقي في مدينة عربين برفع لافتات للمطالبة بعدم نسيان المعتقلين وذلك ضمن عربين المحاصرة وعبروا عن ذلك باعتبار الحصار هو السجن الثاني في سوريا بعد السجون الرسمية.

وبالرغم من الحصار والقصف الشديدين التي تتعرض له مدينة داريا منذ شهور عديدة فقد شارك المجلس المحلي وتجمع حرائر داريا في الحملة أيضاً ورفعوا لافتات التضامن مع المغيبين قسرياً للتذكير بهم. " كم من أسير أودعوه السجن جسداً.. "

لكن روحه طلقاء أبداً.. ".

أما حرائر داريا فقد رفعن اللافتات مطالبات بالأطفال من المعتقلين الذين بلغ عددهم تسعمئة وثلاث وأربعون طفلاً.

وقام فريق الحراك السلمي في يلدا بتوزيع منشورات وأسماء المعتقلين للمطالبة بهم ضمن نفس الحملة.

كما قامت حركة أطياف لأجل سوريا في مدينة سلمية بحملة واسعة على مدى عدة أيام تضمنت بخ غرافيتي على الجدران ومنشورات ولافتات عدة.

وقام تجمع حبة قمح في مدينة التل برسم أسماء بعد المعتقلين على قصاصات مع تاريخ اعتقالهم وإعداد اللافتات بهذا الخصوص ورميها على مدى يومين كما نفذوا رسومات عدة تقص بعض قصص المعتقلين وظروف الاعتقال السيئة وما يتعرضون له من تعذيب ومعاملة مهينة تنتهك أبسط حقوقهم. وتصف حال أهالي المعتقلين وتخاذل المعارضة السياسية.

وبرغم القصف الذي تعرض له حي برزة في العاصمة دمشق فمن وسط الدمار حمل الشباب لافتات تحية لجميع المعتقلين ومطالبة بالحرية لهم. " تحية من تحت الدمار إلى من يبني لنا بصمودة جسر العبور إلى الغد".

وفي دير الزور حمل نشطاء لافتات تطالب بعدم نسيان المعتقلين ورفعوها خلف أسوار حدائق وأبنية دير الزور المهدمة. وقاموا بعملية بخ على جدران المدينة للمطالبة بالحرية لمعتقلي سوريا. "حريتنا من حريتكم لن ننسى المعتقلين".

كما قام ناشطون في قرية الحراك في درعا بتنفيذ جدارية بعنوان "قادمون سنحرر السجون" ورفعوا لافتات تطالب بالحرية لمعتقلي الرأي والحرية لجميع السوريين. وعدم نسيان قضية المعتقل.

وفي مدينة مصياف شاركت لجان التنسيق المحلية ببخ غرافيتي للمعتقلين وللمعتقل ابن مدينة مصياف علي وطفة ضمن نفس الفعالية.

أما لجان التنسيق المحلية وعبر نشطاء الحراك المدني في نقاط متعدد من سوريا فقد زينت يوم الجمعة الماضي لافتات المطالبة بالمعتقلين مظاهرات سوريا ضمن حملة توحيد

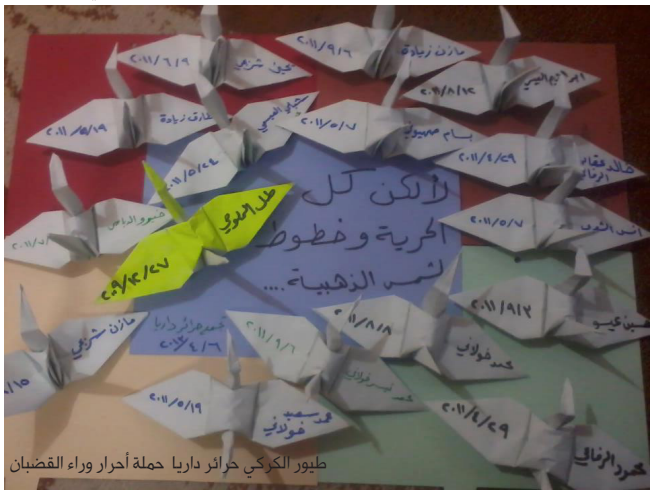

اللافتات ورفعت لافتات تدعو بالحرية لحمائم الحرية معتقلي سوريا مذكرة بهم ومشددة على عدم نسيانهم.

كما صنع شباب حركة هنانو في حلب طيور الكركي التي تحمل أسماء معتقلي الحي وأيضاً في حمص قرية الغنطو أيضاً رفع نشطاء.

وكما عودتنا الزبداني فقد رفعت أيضا اللافتات ولم تنسى التذكير بالمعتقلين الذين قضوا تحت التعذيب. وتعددت المشاركات أيضا من قرية سلمى في اللاذقية وقرية أريحا في ريف إدلب وقرى حمص ومجموعات الحراك السلمي في مدينة الرقة المحررة حيث قام تجمع شباب الرقة الحر باعتصام رفعت فيه اللافتات للمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين السوريين ورددوا الشعارت وحملوا صور معتقلي المدينة المغيبين.

وفي الأتارب قام ناشطون بزيارة إلى مدارس المرحلة الابتدائية وشرحوا الحملة للأطفال وحدثوهم بلغة مبسطة عن حقوق الإنسان وحق المواطن السوري بعدم حجز حريته كما شاركوا معهم في كتابة لافتات المطالبة بهم ورفعوا اللافتات مع الأطفال على جدران المدرسة.

وشاركت كالعادة تجمعات الحراك المدني السلمي كتجمع أنا انسان في مدينة السويداء وتجمع نبض للحراك المدني في الحملة فقاموا بحملات بخ غرافيتي متعددة في دمشق وحلب وغيرها ورفعوا اللافتات وألقوا المناشير.

بالنسبة لمدونة كبريت فقد ركزت في مشاركتها في الحملة على المعتقلين الذين استشهدوا تحت التعذيب ونشرت صورهم وقصصاً عنهم وظروف سجنهم المختلفة.

وتلقف الشباب السوري الناشط في الخارج الحملة وشارك في وقفات صامتة متعددة ورفعوا لافتات بلغات البلد التي هم فيها ومنها اليابان وتركيا وشاركوا في تسليط الضوء على قضية المعتقل السوري وطالبوا المنظمات الدولية بزيادة التحرك من أجلهم والمطالبة بإطلاق سراحهم والضغط على نظام الأسد لإيقاف الاعتقالات بحق نشطاء الرأي والصحفيين والمواطنين.

منظمات

دعت منظمة آفاز العالمية في بيان لها ضمن الحملة إلى جمع التواقيع حفاظاً على حياة معتقلي الرأي في سجون النظام السوري، نص البيان: "وسط ما يمارسه النظام السوري من قمع لحرية الشعب السوري فاقت حدود التصور تجاوز فيها متجاهلاً كل معايير المواطنة والإنسانية، لا يسعنا وسط هذا القتل والدمار إلا ضمان بقاء معتقلي سوريا على قيد الحياة وسط ما يتعرضون له من تعذيب وإرهاب داخل المعتقلات السورية. سيتم إرسال توثيقات المعتقلين إلى هيئة الأمم المتحدة والمنظمة العالمية لحقوق الإنسان تتضمن بيانات المعتقلين وتواريخ اعتقالهم وملخص عن نشاطهم المدني ومواقع من عُرف أماكن اعتقالهم.. أملاً في الحفاظ على حياتهم"

وقد وقع ما يزيد عن عشر آلاف ناشط على البيان من مختلف أنحاء العالم.

إعلام سوريا الثورة

على صعيد إعلام الثورة فقد دعمت اغلب تجمعات الحراك الثوري الإعلامية الحملة وحصلت على تغطية واسعة وتقارير متعددة من قبل جرائد الحراك الثوري، ونشرت الكثير من المواقع والصفحات قصص المعتقلين السوريين وما تعرضوا له وحظيت الحملة بتغطية واسعة من راديو وطن أف أم وإذاعة بلدنا ونسائم الحرية وراديو الكل. كما نشر الناشطون عبر الوسائل الإعلامية الكثير من التقارير التي أعدت حول التعامل مع الحالة النفسية للمعتقل بعد خروجه من الاعتقال وكيفية العناية به ومناشير عدة عن التصرف في حالة الاعتقال ومعلومات حول أفرع الأمن والمخابرات ينبغي أن يعرفها النشطاء.

وأعادت الكثير من التجمعات التذكير بمبادئ العمل السري والتواصل الآمن كي نتجنب الاعتقال في ظروف الثورة السورية ومواضيع متعددة بخصوص حقوق الإنسان والنصوص الخاصة بها في المواثيق العالمية واتفاقية جنيف المناهضة للتعذيب.

كما أجرت العديد من وسائل الإعلام مقابلات مع معتقلين سابقين تحدثوا فيها عن ظروف الاعتقال وما تعرضوا له وتجربتهم الخاصة وتحدثوا أيضاً عن زملاء لهم في المعتقل في أوضاع تتفاوت في السوء تتشارك فيما بينها في تقييد حرية المعتقل.

نختم أخيراً أن وحدها حرية التعبير قادرة على بناء الأوطان.

يذكر الناشطون أن الحملة مستمرة وأن قضية المعتقل السوري هي من أهم الركائز التي قامت الثورة السورية لأجلها.

الحرية لسوريا والحرية لكل السوريين.

عشية سقوط النظام
دلالات وأمنيات

■ ياسر مرزوق

قد يكون العنوان لافتاً ومحملاً بالكثير من التفاؤل والتمني، ولكن السنين في عمر الشعوب لحظة، وإذا كان ما يفصلنا عن إعلان سقوط النظام أسابيع أو أشهر، فنحن اليوم عشية سقوط النظام، كما يبدو العنوان للوهلة الأولى تطاولاً على الغيب تحفه المحاذير من كل جانب، إلا أننا نستطيع أن نقرأ المحتمل سياسياً استناداً إلى أن العوامل المؤثرة في أحداث الغد يمكن رصدها من اليوم، ومتابعة حركتها المتجهة إلينا دون أن يكون ذلك تطاولاً على الغيب.

باتت الثورة في سوريا معقدةً إلى درجة دموية، وملتبسة إلى حد القتل، ومتداخلة إلى حد الإفناء، ومأساوية إلى غاية في الألم والعبث، ومقدسة إلى درجة توظيف الآلهة والأنبياء في معاركها وفي قيادتها، ما يحدث في سوريا وثورتها في عامها الثالث تجاوز حجم الكارثة، سياسياً واقتصادياً وتاريخياً وثقافياً.

ملفنا اليوم لقراءة الترتيبات الإقليمية تحضيراً لمرحلة ما بعد الأسد من مصالحة تركية إسرائيلية وتركية كردية، وإعادة تموضع لحزب الله سياسياً، وبحث إيران عن حلفاء جدد في المنطقة، بينما ينشغل رأس النظام بالقتل ونزع الشرعية عن جامعة الدول العربية، وهو ليس مستغرباً في خطابه ألم يلغي وزير خارجيته القارة الأوروبية عن الخارطة سابقاً فيصرح لصحيفة تركية: "إذا أردنا أن نتحدث بصراحة فالجامعة العربية، هي بحد ذاتها بحاجة لشرعية، هي جامعة تُمثل الدول العربية وليست الشعوب العربية ولم تحصل على هذه الشرعية منذ سنوات طويلة، لأن هذه الدول في مواقفها المختلفة لم تُعبر عن الشعوب العربية، حتى عندما كنا نحن نشارك، كنا نعرف هذه الحقيقة. فإذاً هذه جامعة لا تُعطي شرعية ولا تسحب شرعية، هذه الخطوة هي خطوة رمزية، الهدف منها هو إعطاء هذا الانطباع، أما الشرعية الحقيقية فلا تأخذها لا من منظمات ولا من مسؤولين خارج بلدك ولا من دول، تأخذها فقط من الشعب السوري، إذا كان الشعب السوري يسحب منك الشرعية فأنت بلا شرعية، إذا قام الشعب السوري بإعطائك هذه الشرعية فأنت رئيس شرعي، عدا عن ذلك، كل هذه المسرحيات، بالنسبة لنا ليس لها أية قيمة".

كما أضاف في معرض رده على تصريح لوزير الخارجية التركي: "طبعاً لا أريد أن أرد عليه. فإذا لم يكن هناك من رباه تربية صحيحة في منزله، فأنا في منزلي تربيت تربية صحيحة. إن لم يكن قادراً في كلامه أن يتعلم من أخلاق الشعب التركي والتي رأيتها خلال زياراتي إلى تركيا، فأنا في سوريا تعلمت الكثير من أخلاق الشعب السوري، فهذا الكلام ليس محل اهتمام؟".

المصالحة التركية الإسرائيلية

ذكر موقع "والاه" الإسرائيلي أن المصالحة التركية الإسرائيلية من شأنها أن تقرب نهاية (الرئيس) السوري "بشار الأسد" عن طريق تجديد التعاون الاستراتيجي والعسكري والاستخباراتي بين البلدين، وأضاف الموقع أن إيران أيضا سيلحقها الضرر من تحالف إسرائيل وتركيا وستعاني كثيراً من تنفيذ عملية الاغتيالات لعلماء إيرانيين بارزين نتيجة لذلك الحلف الجديد الذي رجع العلاقات إلى مستوى العلاقات الوثيقة كما كانت في سابق عهدها، وتابع الموقع أن رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" أكد أنه في ظل الواقع المتغير حولنا يلزمنا طوال الوقت تجديد منظومة العلاقات مع دول المنطقة.

وقالت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية: إن المصالحة بين تركيا وإسرائيل الآن بعد ثلاث سنوات من الصراع جيدة لموقف سوريا، خاصة أن المناخ في الشرق الأوسط «مظلم» بين حرب أهلية سورية تتزايد حدتها، وإيران التي لا تظهر أي مؤشر على الإبطاء في برنامجها النووي.

وأشارت افتتاحية الصحيفة الأمريكية إلى أن البلدين لديهما سبب قوي للتعاون، فكما قال «نتنياهو» على صفحته على «فيس بوك»، شارحًا الاعتذار، إن قراره جاء بسبب مخاوفه المتزايدة من الأسلحة الكيميائية لسوريا وخوفا من أن تقع أي أسلحة متطورة بأيدي ميليشيات حزب اللّه في لبنان أو فروع تنظيم القاعدة المتفرقة في سوريا.

كما صرح سفير تركيا السابق في إسرائيل والحالي في واشنطن ناميك تان: إن الأصدقاء الحقيقيين فقط هم الذين يستطيعون الاعتذار لبعضهم البعض..

وتتأتى أهمية المصالحة من استشعار القيادة الإسرائيلية باقتراب انتهاء الأسد، ولا يختلف اثنان على أن توقيت المصالحة ليس صدفة في هذا الوقت بالذات، إذ إن تركيا تلعب دوراً مهماً وأساسياً في الأحداث السورية وهذا الدور سيزداد بدرجة كبيرة في المستقبل، في عهد ما بعد الأسد عندما تبدأ الترتيبات الجديدة المعدة لسورية، والمواجهات في سوريا اقتربت من حدود وقف إطلاق النار مع إسرائيل. كما تزايدت حالات إطلاق القذائف باتجاه القوات الإسرائيلية في الجانب المحتل من هضبة الجولان بل تحولت هذه القذائف إلى صواريخ، أطلق خلالها الجيش الإسرائيلي صاروخا من طراز «تموز» تسبب في تدمير موقع للجيش السوري وقتل جنديين.

والنظام السوري يبدو أنه لم يعد مؤهلا للقيام بدوره في حماية الحدود الإسرائيلية، بعد أن أدى دوره بنجاح خلال ثلاثين عاما مما دفع بالقيادة الإسرائيلية لطي صفحة الخلاف مع الأتراك، وإعادة التحالف الوثيق بين الدولتين والذي يعززه انتشار بطاريات صواريخ الباتريوت الأطلسية على الحدود السورية الشمالية، إضافة إلى رادار الدرع الصاروخية المقامة على الأراضي التركية والتي لم تتوقف إسرائيل عن التزود بالمعلومات التي تبثها هذه المنظومة، لأن إسرائيل شريك استراتيجي بدرجة دولة غير عضو وثمة اتفاقات بين تل أبيب وبروكسل تسمح باطلاع الأولى على كل خطط وتدريبات ومعلومات الحلف.

وبحسب مصادر دبلوماسية وإعلامية إن المصالحة التركية الإسرائيلية كانت ثمرة جهود دبلوماسية واتصالات سبقت بداية هذه الزيارة بأسبوعين، حيث قام أوباما ببذل جهد دبلوماسي لحث الأتراك على قبول المصالحة وكان الجواب بأن أنقرة تقبل المساعي الأميركية شرط تحقيق الشروط الثلاثة التي حددها أردوغان منذ بداية الأزمة.

كما تعالت الأصوات داخل الإدارة الأمريكية للتدخل المباشر لإنهاء المأساة السورية، وظهرت بوضوح مثل هذه الدعوات للقيام بذلك من خلال الشهادة التي أدلى بها مؤخراً الأميرال جيمس ستافريدس القائد الأعلى لقوات حلف شمالي الأطلسي أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأميركي، والذي شرح فيها أن هناك ضرورة لتحرك أميركا وحلفائها من اجل تغيير الوضع في سوريا، حيث قال «في رأيي الشخصي ان مثل هذا التدخل سيشكل مدخلاً لاختراق

أساسي في الأزمة ويؤدي ذلك إلى إسقاط النظام». وأضاف ستافريدس أن بطاريات صواريخ «باتريوت» المنشورة في تركيا هي قادرة على تأمين منطقة حظر جوي فوق شمال سوريا.

المصالحة الكردية التركية

تعود جذور القضية الكردية إلى ما قبل إعلان جمهورية تركيا الحديثة في 29 تشرين الأول عام 1923م، ففي عام 1920 ووفقاً لمعاهدة سيفر قام السلطان العثماني بمنح الأكراد دولتهم المستقلة، إلا أنه ومع انقلاب كمال أتاتورك وإعلان الجمهورية نجح الأخير في تقليص مكاسب الأكراد في معاهدة سيفر ليحولها من دولة مستقلة إلى منطقة حكم ذاتي قابله رفض عنيف من جانب الأكراد لتبدأ بعده سلسلة انتفاضات تم قمعها بالقوة المسلحة حتى ظهر حزب العمال الكردستاني وزعيمه عبد الله أوجلان ليُعلن الحرب على الدولة التركية عام 1984م، مما فاقم الخسائر في الأرواح التي وصلت ذروتها في التسعينيات، مما دفع بالرئيس التركي "تورغوت أوزال" للعمل على مفاوضات سلام سرية مع عبد الله أوجلان، انتهت بوفاة الرئيس أوزال المفاجأة في نيسان عام 1993

وفي العام 1996م طرح رئيس الوزراء التركي نجم الدين أربكان فكرة "حل الأزمة الكردية على الطريقة الإسلامية" عبر تغليب الدِّين على العرق واللغة، إلا أن المؤسسة العسكرية لم تمهله لتحقيق السلام مع الأكراد وانقلبت عليه عام 1997، بعدها صعدت المؤسسة العسكرية لهجتها اتجاه النظام السوري، وحشدت قواتها على الحدود السورية لإجبار الرئيس السوري على التخلي عن أوجلان وعناصر حركته، وفعلاً رضخ النظام السوري، ورحل أوجلان من سوريا لليونان ومنها إلى كينيا، حيث قبض عليه الأتراك في عام 1999م عبر عملية دولية ولينقل إلى تركيا في يوم تاريخي عُدّ وقتها عيداً وطنياً ثم يُقدّم للمحاكمة وسط توقعات بإعدامه، لكن خضوع تركيا لشروط الانضمام للاتحاد الأوربي وخشيتها من اضطرابات قد لا يمكن السيطرة عليها أجبرت الحكومة على استبدال العقوبة بالسجن المؤبد في جزيرة أميرالي.

وبعد تولي حزب العدالة والتنمية الحكم عام 2002م ثم سيطرة رئيس الوزراء أردوغان على القرار في الدولة وخاصة في الجيش والاستخبارات بدأت مفاوضات سرّية مع عبد الله أوجلان لتنتهي بإعلان السلام.

ذكرت صحيفة راديكال أنه بعد وقف مبدئي للقتال سينسحب مقاتلو حزب العمال الكردستاني من الأراضي التركية على أن تبدأ بعد ذلك محادثات بشأن نزع السلاح قبل عملية أخيرة تشهد إلقاء المتشددين أسلحتهم، وأضافت أن أوجلان سيعد أربع رسائل تحدد رؤيته لحل للصراع توجه إلى حزب السلام والديمقراطية والى قادة حزب العمال الكردستاني في شمال العراق والى أوروبا حيث يتمركز كثير من نشطاء الحزب والى الرأي العام التركي.

والخريطة المتوقعة هي أن يعلن أوجلان تجميد العمليات العسكرية بمناسبة عيد النيروز لدى الأكراد. ويلي ذلك خطوات مقابلة من الدولة التركية مثل إقرار تعديلات في القوانين تتيح إطلاق سراح بعض المعتقلين الأكراد. وفي النهاية تتحقق خطوات متتالية ومتزامنة تتضمن بنود الحل المقترح وهو انسحاب المقاتلين الأكراد من الداخل التركي إلى شمال العراق. وإعلان ترك السلاح نهائيا مقابل إطلاق سراح كل الأكراد المعتقلين وإجراء تعديلات دستورية تعترف بالهوية الكردية والتعلم باللغة الأم ومنح ما يشبه الحكم الذاتي للأكراد وإقرار الانتقال في الدستور الجديد إلى نظام رئاسي يتيح لأردوغان أن يصبح رئيسا للجمهورية في العام 2014 بصلاحيات مطلقة لخمس سنوات قابلة للتجديد. تتوج العملية بإطلاق سراح أوجلان ليقود النضال الكردي سلميا هذه المرة وبالتفاهم الكامل مع رجب طيب أردوغان.

وستشمل "خارطة الطريق" الإفراج عن آلاف الأشخاص المحتجزين المتهمين بأن لهم علاقة بحزب العمال الكردستاني، وستؤدي أيضاً إلى إصلاحات دستورية تزيل العقبات أمام التعليم باستخدام اللغة الكردية وتعزز الإدارات المحلية وتعريف محايد عرقيا للمواطنة يصف الناس بأنهم مواطنو تركيا وليس بأنهم مواطنون أتراك، ولا يوجد أي تأكيد رسمي لأي اتفاق ولم تحدد صحيفة راديكال مصادرها لكنها تعتبر عادة موثوقا بها فيما يتعلق بالمسألة الكردية، ووفقا للتقرير كانت مطالب أوجلان محدودة فيما يبدو ولا توجد إشارات إلى كردستان مستقلة أو إلى اتحاد فيدرالي أو مفهوم "حكم ذاتي ديمقراطي" الذي اقترحه سياسيون أكراد.

وبطبيعة الحال تنعكس المصالحة الكردية التركية سلباً على النظام السوري وهو ما فتأ يهدد ويتلاعب بورقة الأكراد، وبعد سحبها منه بات النظام يركز على علاقاته مع اليسار التركي المتشدد من أبناء الطائفة العلوية خاصة، معتمداً على خصومتها السياسية مع حكومة أردوغان.

الحكومة اللبنانية

حتى أكثر الأطراف اللبنانية تشدداً ورعونة في الموضوع السوري، احتفت بالمرشح لتشكيل الحكومة اللبنانية تمام سلام الذي تردد أن ترشيحه تم من قبل المملكة العربية السعودية، أو الأمير بندر بن سلطان أشد أبناء العائلة المالكة السعودية عداءً للنظام السوري، ولعل الموقف الأشد نفوراً، كان موقف حزب الله والذي على الرغم من استمرار عناصره في القتال إلى جانب النظام السوري ضد شعبه ابتداءً من القصير في ريف حمص وحتى السيدة زينب في ريف دمشق، إلا أنه وفي السياسة استشعر اقتراب النهاية، فحتى إيران التي أعلنت مراراً أن الدفاع عن نظام الأسد واجبٌ مقدس، تحاول الاتجاه إلى مصر كقاعدة لنفوذها، بعد يقينها من خسارة سوريا، فمصر تحتاج المال لدعم اقتصادها، وإيران بحاجة إلى حليف جديد في المنطقة بدلاً من سوريا.

على هذا الأساس بنى حزب الله موقفه، فأعاد التموضع وخفف من حدة اللهجة وذهب نحو مساحة توافقية، بدل الدخول في مواجهة سياسية، تضاعف الاحتقان المذهبي السني ضده، والذي كان عنوان المرحلة السابقة، ووافق على "تمام سلام" مرشح قوى 14 آذار، والقريب جداً من تيار «المستقبل» ورئيسه سعد الحريري. لتشكيل الوزارة في انتظار ما يحمله القادم من الأيام. حزب الله قرأ المشهد جيداً وربما يتلقى تقارير من عناصره المقاتلة على الأرض، أو أن كم النعوش التي تتجه إلى القرى اللبنانية يومياً محملة بشهداء المقاومة الإسلامية ضد الشعب السوري، جعلته يدرك أن نظام الأسد يتداعى، وأن حلم الهلال الشيعي بات منسياً، تجاوزته إيران عينها، كما بدأ يتلمس حجم تنامي العداء تجاهه في الداخل والخارج، وكيف أن الطائفة السنيّة باتت تراه مصادراً لحقوقها،

الأردن والعراق

يبقى الأردن أكثر دول الشرق الأوسط تأثراً بمحيطه وبالأزمات العربية، مع ذلك حافظت المملكة على وجودها رغم كل الزلازل الإقليمية التي عصفت بكيانها، من هنا كان ارتفاع اللهجة من النواب الأردنيين والتهديد باللجوء لمجلس الأمن للمطالبة بمنطقة عازلة في محافظة درعا تستوعب اللاجئين السوريين استكمالاً للضغط على الأسد ونظامه وحث الإدارة الأمريكية على التدخل الفعال.

أما الحكومة العراقية والتي وازنت منذ اندلاع الثورة السورية بين إيران حليفة النظام وبين خصومه، فقال المالكي حينها: إن "تحقيق الإصلاحات" في سوريا سيساعد على إحلال "الأمن والاستقرار" فيها، وأكد على أن "استقرار المنطقة ككل مرتبط باستقرار سوريا وأمنها" معبرا عن أمله في قدرة سوريا على تجاوز الأزمة.

ثم تحول خطابه بعد تأسيس المجلس الوطني السوري في إسطنبول حارفاً بوصلته قليلا نحو المعارضة، داعيا سوريا إلى الانفتاح السياسي لإنهاء حكم الحزب الواحد في إطار إصلاحات لمواجهة ما وصفها بـ"الاحتجاجات الشعبية". وقال المالكي في مقابلة مع وكالة "رويترز": " إننا ندعم بالتأكيد فكرة إنهاء حكم الحزب الواحد والشخص الواحد والطائفة الواحدة والقومية الواحدة. وهو ما أكده الناطق الرسمي للحكومة علي الدباغ.

لكن موقف رئيس البرلمان العراقي أسامة النجيفي كان أكثر وضوحاً عندما دعا الحكومة السورية في 9 آب 2011 إلى اتخاذ "موقف جريء لوقف نزيف الدم"، مدينا "قمع الحريات" داعيا إلى "وقف جميع الممارسات غير السلمية"، إلا أنه ومع دخول الثورة عامها الثاني انقلب الموقف العراقي، ليقاتل مباشرة إلى جانب النظام بفتوى من ولي الفقيه، وبما أن الكفة أصبحت ترجح للثوار على الأرض فسيغير العرق موقفه بفتوى من ولي الفقيه أيضاً.

في الختام نعيش اليوم عشية سقوط النظام وسوريا أقوى من أن تقسم..

في نقد الثورة السورية

■ الياس س الياس

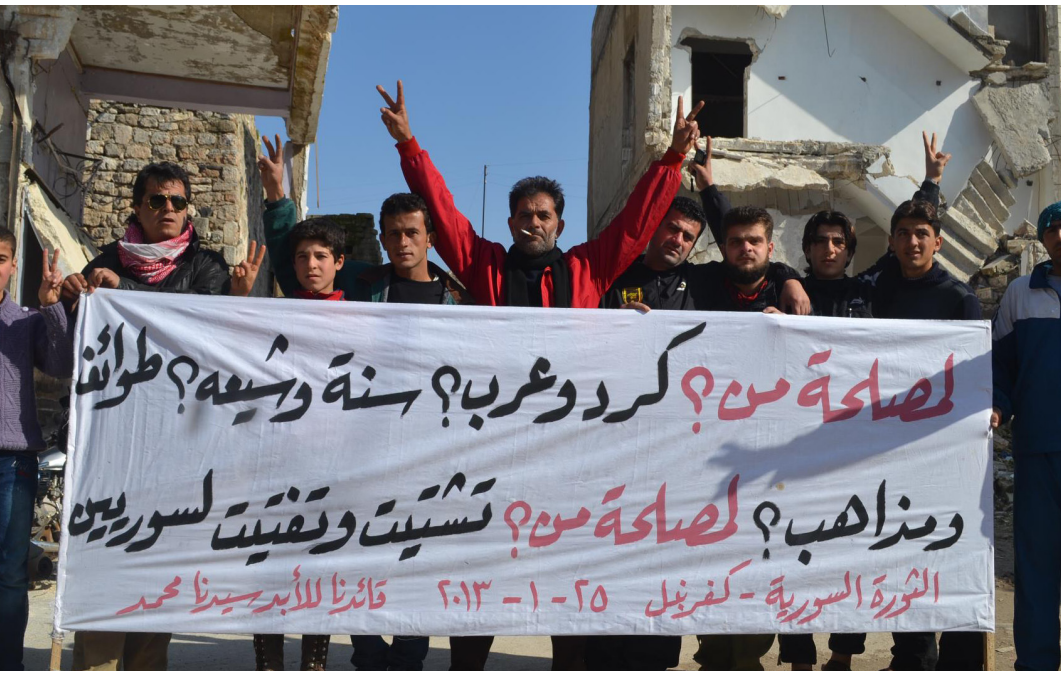

جرت العادة أن يمر الحدث الذي تساهم فيه العصابة الحاكمة في دمشق بكثير من المباركة والصمت أحيانا، وفي معظم الأحيان أظهرت الثورة السورية على مدى عامين أن الأكاذيب التي ساقها بشار الأسد كانت تُهضم بشكل يدعو للشفقة من هؤلاء الذين لم يذهبوا حتى نحو نقد ليس الأكاذيب فحسب بل الأساطير التي أسست لعقل خانع يقبل أية رواية دونما تمحيص ولا تدقيق.. الجمهور الذي ساقه في مرات كثيرة من المدارس والجامعات ومؤسسات الدولة وحتى المجندين والشبيحة إلى الساحات راح يردد تلك الأساطير في لقاءات تلفزيونية لم يعرض فيها ولا وجهة نظر مغايرة للرواية التي يحملها " الصحفي" الرسمي وشبه الرسمي في الشارع.. وفي اللقاءات التلفزيونية كان يوحى لنا أن الجمهور المتصل هاتفيا يردد ببغائية مخيفة حالة الهستيريا التي رافقت مظاهرات سلمية شهدتها المدن والأرياف السورية..

لم يستدعي قتل الناس بدم بارد أية ردود أو نقد من هؤلاء الذين انتدبت عصابة الحكم أبواقا محلية وعربية، وفي الغالب لبنانية، ليبيشوا الجمهور الجاهز في محرقة " الأسد للأبد".. وصل الأمر أن وُضع العقل جانبا.. فراح هؤلاء بصراخ هستيري وأحيانا بتمثيل رديء جدا يطالبون الأسد ويرجونه بأن يرتدي البزة العسكرية.. والضرب بيد من حديد ضد المتظاهرين.. بل فضل طالب إبراهيم الأولوية لقتل هؤلاء على محاربة الإسرائيلي..

في السياق العام غاب النقد.. استحضر التصفيق والتهليل لحماة الديار وهم يدكون حوارن بالدبابات ويقتحمون الجامع العمري هناك.. يفتحون أفواههم ويفركون أيديهم فرحا لانتصارات في حوران.. كان الأمر فاجعة حقيقية في درعا وفي الشهر الثاني فقط للغضبة الجماهيرية، في نيسان / ابريل ٢٠١١ بدا المشهد كارثيا في تصاعد التحريض بالقتل ضد كل من يتظاهر.. الطبقة التي تحالف معها النظام ليست واحدة.. وما بناه طيلة عقود من تغييب السوري وجلب ما يشبه " المسخ " الذي تعرض للتهكم في لبنان وغيرها في صورة تعكس العقل المافيوي لطبقة الحكم كنا أمام صورة فظيعة لجمهور يرحب بقتل " إخوة الوطن".. كان القذافي يمارس ذات اللعبة في تغييب الشعب وجلب صورة ليبيا بشكل هزلي على شاكلته وتفكيره..

كان غياث مطر في داريا، صاحب مأثرة السلمية والصورة المناقضة لصورة السوري التي رسمتها عصابات الأسد عنه كسلبي وخانع ومتوحش وإرهابي، وقد سبق أن استفسرنا عما إذا كان النبع الصهيوني هو نفسه، قد اختطف وأعيدت جثته مشوهة من التعذيب.. فما الذي استدعته عملية إعدامه من نقد عند جمهور ومثقفي التحريض؟!

للأسف لا شيء سوى الإيغال في تخوين عائلة مطر وتهديدها والتركيز السخيف على حضور بضعة سفراء غربيين لخيمة العزاء في داريا وليس على ما جرى لهذا الشاب السلمي.. لم تثر حادثة زينب الحصني السؤال الأكبر: جثة من تلك التي سُلمت لأهلها وتم دفنها؟! وأين هي لجان التحقيق التي قيل أنها شُكلت فيما خص درعا وحمزة الخطيب؟! ماذا عن برزة حيث كان رجال الأسد الأشاوس يدمون الرجال والشباب ويحشرونهم في السيارة؟!

نحن نتحدث عن الأيام التي كان فيها التظاهر سلميا والذي كان يواجه بقنص من فوق مباني حكومية في دوما وبرزة وحرستا والقابون وكفرسوسة وحماة واللاذقية وحمص وغيرها وغيرها..

حتى في قضية الشريط الأخير المتعلق بالبوطي عرض التلفزيون السوري روايته الأولى بأن الفيلم مفبرك وكاذب.. ثم حين قال توفيق بأن الشريط صحيحا.. عاد التلفزيون بعد أن أحرج ليتراجع عن روايته عن الفبركة.. وذلك التشاطر هو السمة التي رافقت كل الأكاذيب التي ساقها الإعلام السوري طيلة سنتين ولكن من هو الذي تجرأ في محيط تلك العصابة الحاكمة ومن المؤيدين على طرح مراجعة أو نقد لروايات تبين الوقائع أنها لم تعش حالة إنكار فحسب بل استلاب للعقل وجر للجمهور نحو تقديس جزمة العسكري ووضعها فوق الرأس..

في المقابل دعونا نفكر قليلا فيما فعلته الثورة السورية على الجانب الآخر..

لم تنتج الثورة السورية تفكيرا قطيعيا ينساق وراء أي ممارسة أو خطاب دون أن يمحص ويقلب وينقد ويرفض ويحاصر حين لا يعبر حقيقة عن هؤلاء الذين ما خرجوا إلى الشوارع ليكونوا قطيعا يقودهم أينما وكيفما شاء البعض..

كثيرة هي الممارسات.. والخطابات والشعارات التي دلت على تفاعل آخر غير ذلك الذي ظن النظام أنه بات أبديا طالما عُمل عليه لجيل كامل من الطلائع حتى الجامعة.. واجه الشعب الثائر أكذوبة " العلوي عالتابوت والمسيحي عبيروت" منذ أول أسبوع في الثورة بشعاره: واحد واحد الشعب السوري واحد".. ظل الفنانون والمثقفون المنحازون للثورة يواجهون كل انحراف بقول جريء لا يخشى أحد.. الناشطون الذين اتهموا من قبل جمهور ومثقفي السلطة الحاكمة بكل قذارات الخطاب البعثي لم يتراجعوا عن نقد كل ممارسة تسيء للأهداف النبيلة للثورة وحرية الشعب السوري..

ظلت عصابات الحكم تركز على تكتيكات تسمى " أفلام مسربة" عن ممارسات يندى لها الجبين وتركز فيها على لكنة جنود وشبيحة بدا منها وكأن الأمر كان مقصودا.. إنه تكتيك التوريط والتشكيك.. تسريب ثم تشكيك ثم توريط.. بدا الأمر محيرا للبعض، إذ كيف يمكن استثارة الإنسان وغريزته ثم اتهامه بأنه واهم فيما يراه ويسمعه.. أي نصير أمام شعب يعيش هلوسة جماعية إن هو صدق " القنوات المغرضة" أو صدق بأن ما رآه في منطقة الميدان بدمشق وتحت جسر المحلق هو جمهور سوري..

لم تكن المشكلة فقط في ركل رجال وفتية وهم مبطوحون على الأرض من قبل شبيحة الأسد الذين تم نفي وجودهم بداية كما نذكر جميعا.. بل أيضا في السؤال الاستنكاري: بدكن حريي؟ وهاي منشان الحريي.. منشان شو؟ وفي الشريط الذي ظهر فيه شباب أرسلهم بشار إلى المسجد العمري فراحوا يصرخون: قتلناهن.. فعلنا كذا بأمهاتهم.. وهم يتناولون داخل المسجد ملابس نسائية داخلية ويتحدثون بقذارة يعجز عنها أي أزعر أو أرعن عن وجهاء درعا ومشايخها..

المشكلة لم تكمن فقط في قول أبواق النظام بأن هذه مفبركة وليست في سوريا.. بل أيضا في تعميم صورة السوريين المصابين بهلوسات البصر والسمع..

فماذا فعل في الأيام الأولى للثورة هؤلاء الذين كانوا يرددون بهستيريا جماعية أبدية الأسد والتشبيح؟!

لاشيء سوى استدعاء ما سنراه لاحقا في سوريا من انفجار الغضب مسلحا بعد أن ظل هؤلاء يتلقون الإهانة والتنكيل والقتل بدم بارد واتهام جمعي بأنهم ليسوا أكثر من متعاطي رذاذ ماء مشبع بالمخدر وحبوب هلوسة من صنع قناة الجزيرة وثمن بخس موضوع في سندويشة في حماة..

هذه ليست ثورة.. خيبة وصدمة..

السوري في دمشق وريفها كان شاهداً على بأصات النقل الداخلي الخضراء وهي تنقل الأمن والشبيحة.. كان يرى بأم عينه من يساقون من أعمالهم في مهمة مجانية أحيانا ومدفوعة الأجر احيان أخرى.. موظفون يحملون الهراوات أيام الجمع ينقلون من منطقة إلى أخرى في تلك الحافلات وغيرها.. وبالرغم من تلك الرؤية والتي صور بعضها في ملعب العباسيين بالأقمار الصناعية.. وبالرغم من أن موظفاً راح يركل ويضرب ويعتقل طالبا ويشتم ويعربد بحق أخوته السوريين ومشاهدة السكان لتلك الممارسات الوحشية على امتداد المدن السورية فقد راح الإعلام يصور دوما هادئة وحرستا وحماة وحمص.. وأخذ " مثقفو ومشايخ السلطة" مهمة التشكيك والتحريم والتشويش.. فكنا أمام شريف شحادة الذي كان قبل قليل في حمص وقبلها في حماة ودرعا واالأمور هادئة".. وصرنا نسمع عن حرمة الهتاف ب " اللّه أكبر" في صلاة الجمعة..

نحن إذا أمام " فتنة"! وعليه انبرى " الجمهور" في شرح المؤامرة.. وعرض سلفية الثورة أوكلت للمثقف الذي لم يعرف يوما من الشارع سوى فندق الشام ومقهى الروضة وهافانا والفورسيزون لاحقا..

المشهد المتهافت والمؤلم هو ذلك

الـذي أبرز كم التملق والتشـوه الذي أحرزه نظـام الأسـد الأب والابن فـي عقل مريدي نظامهـم.. اليـوم حيـن تتفاخـر " دكتورة" جامعيـة في الإعلام بجهـد أدى إلى اعتقال طـلاب وطالبـات جامعييـن بمسـاعدة من الموظفيـن واتحـاد الطلبـة ففـي الأمر ما يشـي بأننا أمام بنية خطيـرة وخطيرة جدا على مجتمع كان يعد فيه الإنسان عبارة عن قطيع في مزرعة مافيا لا يهمها في سـوريا سـوى ما يؤبد مصالحها المتوارثة.. فالجبن الـذي صبـغ مـن كان يسـبح عنـد شـطآن السلطة أنتج عندهم عقلا راكدا يحشى بما هو مطلوب منه..

يسـأل البعض: أيـن المفكرين؟! أين المثقفين في هذه الثورة؟!

سـؤال يبدو في ظاهره محقـا.. لكنه سـخيف إن كان المقصـود هـم هـؤلاء الذين اسـتندت إليهم العصابة في تسويق علمانيتها من جهة وتدينها من جهة أخرى..

هـل تتذكـرون تلـك الطبقـة التـي وجـدت ضالتها فـي خـروج المظاهرات من المساجد؟!

إنهـم هـؤلاء الذيـن " أفزعهـم" الحيـز الوحيـد المتبقي للسـوريين للتجمع والانطـلاق فـي مظاهراتهـم.. لم يسـأل هؤلاء في نقدهم المهتز للثورة السـورية: مـن أين يمكن للسـوريين أن يجـدوا مكانا ينطلقون منه؟!

بـل ظن هـؤلاء بـأن الثورة لـم يكن لهـا أن تواجـه كل القتـل الـذي واجهته لو خرجت مـن المقاهي والنوادي وملاعب كرة القـدم! وهي خرافة واسـطورة لا مكان لها في حيـاة السـوريين.. ليـس لأن منظومة العصابـة لا تسـمح للتجمعات فحسـب بل لأنهـا في الأسـاس وردا على أسـئلة هؤلاء عـن السـاحات لـم تسـتطع تحمـل توافد السـوريين مـن كل المكونـات إلى سـاحة السـاعة في حمص وهي التي لم تسـتطع تحمـل الاعتصـام بجانب المسـجد العمري فـي درعا وقتلت في يوم واحد بالقابون 19 سوري بدم بارد لمنع مؤتمر سوري سلمي..

لـم يرى هـؤلاء فـي الثقافـة والفكر سوى أنفسـهم، وطالما أنهم ليسوا يرون " الظروف" قد نضجت فقد كان على المجتمع أن ينتظـر تطوره قبـل أن يطالب من خلال الثـورة بكرامتـه وحريته.. انكشـف لنا في الثورة السورية ذلك الدور المزيف والمُزيف لهؤلاء جميعـا (بالأسـماء والتعريفات كلّها) بـل امتـد الأمر إلـى افتضاح عربـي لهؤلاء الذيـن كان يظنهـم الجمهـور نُخبتـه.. فبـدا أنهـم خيبتـه ليـس إلا.. وبالرغم من ذلـك وتركز النقـاش الناقد على سـطحية عظيمـة فقـد أثبتت لهـم الثورة السـورية بأنهـا قادرة على خلق ثقافتهـا الخاصة بها بشـجاعة هؤلاء من الذيـن ضحوا بدمائهم من السـوريين ومعهم من قرأ دونما اعتبار لامتيازات خاصة في الحياة..

كان مشـهدا بائسا أن يُفزع ذلك الذي أراد أن ينتقد الثورة من قصص استشراقية لهـا علاقـة ليـس بجغرافيـة " ابداعاتـه" الشـعرية والفكريـة، إنه الفـزع الذي تركز على أن الثورة هي التي سببته لا بنية نظام تدرج ليصل فاشية شعارا وممارسة..

وقـف ديكتاتـور سـوريا فـي جامعـة دمشـق يخاطـب مـن يفترض أنهـم طلبة ومـن خلالهم توجيه رسـالة للشـعب الذي لم يجـرؤ بعد علـى مواجهته.. فـراح يعدد قصـة الجرائيـم والجـراح والدم.. ومـا أثار حقـا ذلك الوصف الذي فاضل بين فاشـيته وبين أخطاء الثورة.. وراح يسأل عن مفكري الثورة.. بل ذهب إلى حد التبشير بأن هناك " ٦٤ ألـف وكسـور(..)" مطلوبـون للدولـة بتهم جنائية!

السـهام التي وجهت للثورة السـورية نقدا وتشـكيكا أتـت بمفعول علـى غير ما تصـوره أصحاب تلـك المدرسـة المُحبطة والمُحَبطة.. فقـد تزايـدت بيـن صفـوف الثـوار عمليـات النقد على عكـس ما تمناه " معارض ماركسـي" نـزار نيوف الذي بكى أول الثـورة على قناة " الحوار" ثم وبطريقة يشـهد عليها علم الماركسـية في الانقلاب من النقيض إلى النقيض حين ارتد مشككا بالثـورة من نظرة ضيقة فتحـت النار حتى على ميشـيل كيلو ولم توفر أحدا من الذين اختـاروا الوقوف مع الثـورة.. هو ليس بذات أهمية في مسار الثورة ولكنه بالتأكيد مثل سـاطع علـى حالة النقـد لتصحيح المسـار وبيـن نقـد يـراد منـه التشـكيك بالثـورة وبشروطها وأهدافها..

فمن ذا الذي شـكك بأنه هناك مقبرة جماعيـة في حـوران ذات يـوم؟! ومن الذي عند أول انشـقاق لرياض الأسـعد حسـين هرمـوش والقشـعمي وطلاس لـم يذهب إلى طـرح روايـة النظام وتجاوزهـا ليقدم مادة دسـمة بالادعاء كما في روايات شريف شـحادة بأن هؤلاء " عملاء" و" فروا من أجل امتيـازات شـخصية" ثـم فجأة: هـؤلاء من حزب التحرير!

من أطلق صفة العسـكرة على الثورة قبل أن يصل الفعل الفاشي اللامبالي بكل الأرواح؟!

لسـت متـرددا أن أدعي بـأن الإطلالة التي قـام بها هيثم مناع فـي الأيام الأولى وحديثـه عـن "ثلاثة جهـات عرضـت علينا السـلاح" كانـت إطلالة تسـتحق النقد بحد ذاتهـا لأنها قدمت مـادة لنظـام كان يرمي السـلاح لأهل حوران ليواجهوه وليشـرعن مخططه.. المذهل فيما تدرج لاحقا، فالذي يشـتغل في مسـائل حقـوق الإنسـان لم نسمع منه وعنه سوى المزيد من التشكيك حتـى فـي مسـألة " الاغتصـاب الممنهـج" وتلـك بدت سـقطة كبرى قبل أن نكتشـف بأن القصة ليسـت سوى في السياق الأوسع لجماعـة " الشـروط لم تنضـج".. لم يركز هـؤلاء في حقل حقوق الإنسـان السـوري وتلـك الخروقـات الفظيعـة بل ركـزوا في السياسة تارة وفي الثقافة والعسكرة.. فلم يصيبوا لا بهذه ولا بتلك..

نقد الثوار لثورتهم..

كفر نبل والزبداني وبسـتان القصر.. باروموميتـر الوعـي الثـوري السـوري مع غيرهـا من مـدن وقرى سـوريا قدمت كلها مقاصـد النقـد الحقيقـي للثـورة لذاتهـا وممارسـات تتم باسـمها.. وفـي الفضاءات التـي ضيقها الفعل الفاشـي كانـت للثورة السـورية ومـا يـزال الجـرأة علـى تنـاول حـر ومختلـف عـن التفكير القطيعـي.. لم يجري تقديس معـارض مهما كانت صفته ورمزيته.. لنا فيما تعرض له برهان غليون مثلا سـاطعا على صحة وعافيـة التصويب الذاتـي الـذي مارسـه نقـد الثـوار.. ورغم قسـوة الظـروف لـم يصمـت هـؤلاء على التصريحـات والممارسـات التي تتم باسـم الثورة وعلى عكس الفكـر المعلب لجمهور بشـار الذي يلوك الشـعارات حتى لو أثبتت الوقائع بأنها ليست سوى أكاذيب..

ليس يوم الجمعة 12 نيسـان / ابريل فريـدا من نوعـه في حياة الثورة السـورية حيـن رفع المتظاهرون سـقف نقدهم فلم يبالـوا لا بجبهـة نصـرة ولا ظواهـري ولا بغدادي.. فالشـعب السـوري هو المرجعية وهـو صاحـب الكلمـة الفصـل ولـم يخرج هـؤلاء ليسـتبدلوا اسـتبداد البعث بفوضى السـلاح ولا بفـرض أي شـكل من أشـكال الدولـة التي ثاروا من أجـل تحقيقها.. وفي ظـل الظـروف القاسـية أثبـت هـؤلاء في نقدهـم بأنهم ليسـوا كمـا وصفتهم الآلة الدعائية الجهنمية مع الاصطفاف المباشـر وغيـر المباشـر لهـؤلاء الذين ادعـوا انهم وبعد عاميـن صاروا حريصيـن على الثورة وسـلميتها وهم الذيـن لم يقفـوا يوما مع الثـورة ولن تسـعفهم حالـة التملـق التي يحاولون من خلالها دس السم بالعسل..

لـم يقف ثوار سـوريا أمـام التجاوزات المرتكبـة في حلب ودمشـق وحمص ودير الـزور موقـف المتفـرج أو المطبطـب على ممارسات مشينة..

حيـن تعرض شـباب ناشـط للتوقيف والاعتقال من قبل كتائب مسلحة لم يجري السكوت على الأمر بل كشف ولاقى الادانة والرفض ولم يصمت هـؤلاء على تجاوزات بحق الإعلاميين الناشطين باسم " لا صوت يعلو على صوت السـلاح" بـل فضحوا حتى بالأسماء من قام بتلك الممارسات..

نعـم هـذه ثورة شـعب وليسـت ثورة نخب ولا هي ثورة مستوردة ومعلية ولا هي مدفوعة الأجر وليس الثوار بتلك السطحية والسذاجة التي حاول جاهدا الإعلام الأسدي وتوابعه تصويرهم وتقديمهم لشارعه من خلال نمطيـة العجرفة والاسـتعلاء باعتبار آل الأسـد " رب الثقافـة والأتيكيـت" وعلى رأسهم فواز الأسد الذي قدمه أفضل تقديم زياد الصوفي على موقعه..

وبمـا أن ثـورة السـوريين لـم تنتظر أربعـة عقـود أخـرى ريثمـا يجـري توريث حافـظ الثاني وخيـب آمال أصحاب شـعار " التراكم الكيفـي" دون عناء المسـاهمة به مـن طرفهم.. وخيبت ظنونهـم حين انبروا ينتقـدون عـدم نضـوج علمانيـة المجتمع ليقوم بثـورة.. وأفزعهم وجود عرب (ونحن لا نتحـدث عن جبهة النصرة) منهم المقاتل ومنهـم الاغاثـي ومنهـم الطبيـب، فلـم يفزعهـم وجود الآلاف مـن الإيرانيين ومن جماعة نصـر اللّه لقتال شـعبهم.. هم من الذيـن كانـوا يرفعون صورة تشـي جيفارا دونمـا إدراك ربما لورطتهم القادمة.. كانوا من الذيـن يهللـون لانضمام الباكسـتاني واليابانـي والايطالي والكـردي في صفوف الثـورة الفلسـطينية.. أفزعهـم أن طبيبا عربيـا يكسـر سـايكس بيكـو فحضر من مصر.. أفزعهم أن الفلسطينيين لم يكونوا كما أرادهم محمـود عباس من جهة وأحمد جبريل من جهة ثانية..

قـال الثـوار السـوريون يـوم أول أمـس ما يكفـي للدلالة على وعـي يتجاوز وعـي وثقافـة الذيـن ذكرناهم آنفـا.. من يريد مسـاعدة السـوريين فمرحبـا به لكن هـذه ثـورة السـوريين ولأجل السـوريين وبشـروطهم.. هذا ما أثبتـه رد الثورة على جبهـة النصـرة وكل مـن يحـاول أن يحرف الثورة عن مسارها وهدفها في دولة الحرية والمواطنة..

مراجعات لابد منها

تقـدم الثورة السـورية بديـلا أخلاقيا عـن أخلاقيـات العصابـات الحاكمـة، وهذا التفوق هو الذي يؤسـس لمجتمع آخر قائم علـى احترام حرية وقيمـة المواطنة وليس بنـاءا علـى الـولاءات ولا الانتمـاءات التـي أسـس لها الأسـد الأب واسـتمرت في عهد الوريث..

منـاخ الحريـة الـذي قدمتـه الثـورة بديـلا عـن تكميـم الأفـواه لا يصـح مـع ملاحقـة " الجيش الحر" لنشـطاء إعلاميين ومـن الحـراك السـلمي تحـت أي ظرف من الظروف.. فهـذا باب يفتـح ولا يغلق، ونقد هذه الظاهرة يعنـي العمل على تصحيحها مـع كثيـر مـن التجـاوزات التي تتم باسـم الثـورة، والتعليل بأن مـن يقوم بالأمر هم متسـلقين على الثـورة لا يكفـي.. بل رفع الغطـاء والتصـدي لهؤلاء هـو الذي يصحح المناخات التي خلقتها الثورة لشعبها..

إن التشـبيح باسـم الثـورة.. مـن الـرأي حتـى تقليـد شـبيحة الأسـد فـي النهـب والسـرقة.. ليس بالأمـر الذي يجب السـكوت عليه ولا تعليله باسم الأولويات.. فمـن يرى أن هذه اسـتثناءات لا تسـتدعي التصـدي الآن فإنمـا يؤسـس لأن تصبـح هذه الاسـتثناءات هي الأساس.. وعليه كما أثبتت الثورة شـجاعة وجـرأة فمن البديهي أن يجـري التصـدي لتلك الممارسـات التي يرتكبها مسلحون في عدد من مواقع الثورة كالضواحـي الجنوبيـة والغربيـة لدمشـق ولأحياء فـي حلب.. فبيوت النـاس المهجرة ليسـت للنهب والسـرقة ولا يحـق لأي كان أن يسـتقوي بالسـلاح لمنـع النـاس حتـى مـن العودة إلـى بيوتهـا.. ولا يحـق لهؤلاء ممارسـة ذات قـذارات عصابـات السـلطة باسـم الجيش الحر.. ليـس فقط خوفا من اسـتغلال عصابات الأسـد لهـذا المناخ، بل لأجل الحفاظ على التفوق الأخلاقي وتفوق الحرية والشجاعة على الجبن والخوف..

إذا كان الشـاب السـوري يعانـي مـن حواجز التشـبيح فـلا يجب القبـول بحواجز باسـم الجيش الحر لأنها تمارس " تشـبيحا أقـل" وليـس لأن العصابة الحاكمـة تقتل الناشـطين الإعلاميـين وتخفيهـم باسـم محاربـة الإرهـاب يعنـي القبـول بضـرب وإهانة واعتقال هؤلاء باسم الثورة..

إذا كان شـبيحة الأسـد يتفننـون في الشرائط المسـربة بتعذيب وقتل بدم بارد فهـذا لا يعنـي أبـدا أن يكون فـي المقابل من يمارس باسـم الثورة هذه الممارسـات المشينة..

إذا كان الأسـد قـد أطلـق للعصابـات أن تتجمـع ببضعة أشـخاص لتعيث فسـادا ونهبـا وقتـلا فـا ينبغـي للثـورة أن تقبـل قيام " أبـو فلان" بتشـكيل كتيبته الخاصة ليقابل عصابات الأسد بممارسات لاتقل في العربدة على شعبهم..

إذا كان الأسـد يمـارس الاسـتخفاف بالشـعب السـوري ونخبـه فليسـت مهمـة الثورة والثوار تقليده في الاسـتهزاء مع من يُختلف معه بالرأي وتخوينه ولصق تهم له / لها ليثبت هؤلاء صحة وجهة نظرهم..

هـذه وغيرهـا مـن الممارسـات على المسـتوى اللفظي والممارسـة ليسـت في مصلحـة الثورة والسـكوت علـى التجاوزات وتبريرهـا يعيـق تقـدم الثـورة نحـو بناء مجتمـع مختلـف عـن ذلـك الذي أسـس له الأسد في جمهورية الخوف والرعب والقهر..

النقـد يصبح ترفا إذا لـم يقترن فعليا بـإرادة تغييـر وتصحيـح السـلوكيات، ولا يمكـن أن ينظر أحدنا للثـوار بقدر ما نقول رأيـا كمـا يقول غيرنـا وكما يشـعر به من هو مـن هذه الثورة وضحـى لتغيير واقعه، ونحـن لا نتحدث عـن هؤلاء الذيـن صمتوا عن قتل السوريين وحرضوا عليه ثم جاؤوا ليصطادوا في مستنقع الأخطاء والتجاوزات لنسـف الثـورة.. نحـن نتحـدث عن شـباب وشابات ورجال ونسـاء وعوائل يصدمها أن تشـاهد وتعايش ممارسـات باسـم الثورة وهـي فـي الجوهر تقتـرب من ممارسـات شبيحة وعصابات الحكم..

تلك ليسـت مهمة محصـورة في جهة واحـدة من الثورة بل ثقافة يجب أن تشـاع، والتملـق والخـوف من مواجهتها ليس فيه أي نـوع من حمايـة الثورة بـل العكس هو الصحيح..

الثورة في عين الخطر (5)
تجاوزات أهل السلاح

■ مجاهد ديرانية

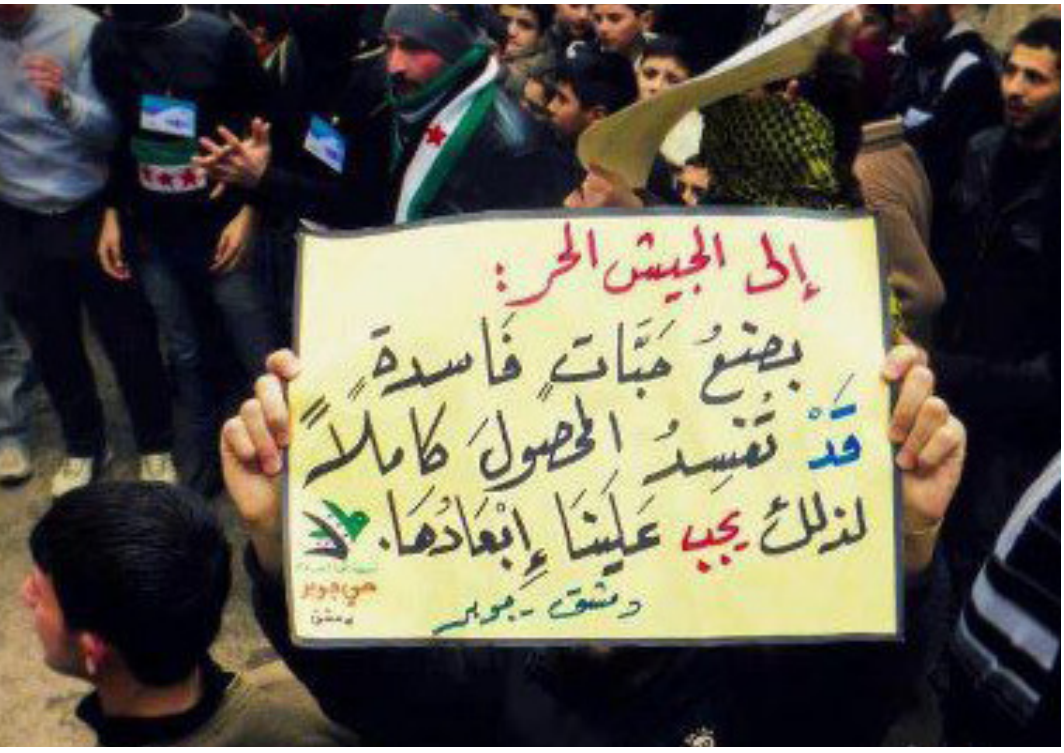

(1)

كل شر في الوجود يبدأ صغيراً كالنبتة الصغيرة الضعيفة، فإذا لم يُعالَج ويهذَّب في بداياته المبكرة فإنه ينمو ويقوى، كالشجرة تمتد جذورها عميقاً في بطن الأرض وتضرب أغصانها عالياً في جو السماء، فلا تقوى العصبة من الرجال على اقتلاعها، وقد كان يستطيع اقتلاعَها طفلٌ صغير وهي لمّا تزل شتلةً طريّة ضعيفة. من أجل ذلك ينتبه المربّون إلى أخطاء ونقائص الصغار في الطفولة المبكرة، وأيُّما عيب غفلوا عنه وتركوه فإنه سيكبر مع الصغير ويصبح طبعاً غالباً يصعب التخلص منه في الكبر أو يستحيل، ومن أجل ذلك كُتبت هذه المقالة.

إن لجيشنا الحر على الثورة فضلاً وعليه ينعقد الأمل في قيادتها إلى النصر بإذن الله. وما الجيش الحر؟ إنه كيان عظيم، أقله من العسكريين المنشقين عن جيش الاحتلال وأكثره من المجاهدين الصادقين من أهل الثورة الأوّلين، من الذين بدؤوا الثورة سلميين ثم حملوا السلاح مضطرين لمّا فرض عليهم نظامُ الاحتلال معركة السلاح، فصنعوا الأعاجيب وهم يحملون السلاح كما صنعوها يوم لم يحملوا السلاح، وأدهشوا الدنيا بثباتهم وصبرهم وبطولتهم في الحالتين، وقدّموا لكتّاب المعاجم والموسوعات تعريفاً جديداً لمفردات البطولة والشجاعة والتضحية والإقدام.

ولكن الناس ليسوا كلهم سواء، فما كل من حمل السلاح حمله صادقاً مخلصاً وحمل معه أخلاقه العالية، وليست تخلو جماعات المقاتلين من طلاب دنيا ومال وجاه، من الذين اختلط في نفوسهم حب الآخرة بحب الدنيا، فنازعوا على الرئاسات أو سعوا وراء المغانم والثروات. هؤلاء يسيئون إلى الثورة ويغامرون بمصيرها، كما يسيء إليها آلاف وآلاف من المجرمين والقتلة واللصوص وقطاع الطريق الذين أطلقهم النظام من السجون، أطلقهم وقال لهم: دونكم دنيا الناس فاصنعوا فيها ما كنتم من قبلُ تصنعون، فليس عليكم اليومَ حسابٌ ولا عقاب. فكانت النتيجة أن حمل السلاحَ قومٌ ليسوا من الثورة ولا صلةَ لهم بها من قريب أو بعيد، فسرقوا ممتلكات الآمنين وخطفوا الأحرار من الطرقات وفعلوا الآثام الموبقات.

الذين ينتسبون إلى كلا الفريقين أعداء للثورة وأعداء لسوريا، ليس بينهم وبين قوات النظام فرق، إلا أنهم أسوأ من ناحية من النواحي على الأقل، فإنهم ربما حملوا اسم الجيش الحر وتزيّوا بزيّه فأساؤوا إليه ولوثوا سمعته، فوجب على جماهير الأحرار أن يعلنوا عليهم الثورة أينما وُجدوا، وعلى جيشنا الحر الحقيقي أن يسارع إلى نزع سلاحهم وكفّ أذاهم وشرّهم عن الناس.

إن المجاهدين الصادقين يبذلون نفوسهم دفاعاً عن المدنيين الضعفاء، وهم يحرصون على صيانة أموالهم من العبث وعلى احترام كرامتهم وحماية حريتهم من أي عدوان، وإذا حرروا أملاك الشعب ومؤسساته واسترجعوها من نظام الاحتلال الأسدي فإنهم يوزعون خيراتها على الناس. أما الفاسدون من حَمَلة السلاح فإنهم يعتدون على الناس، وقد يتسلطون عليهم بقوة السلاح فيسلبونهم الأملاك والأموال، وربما اعتدوا أيضاً على الكرامة والحرية واعتقلوا الأبرياء وعذّبوهم في السجون والمعتقلات، ومنهم من يستولي على مؤسسات الدولة وأملاك الأمة فيحولها إلى مشروعات شخصية يَجْني هو خيراتها ويَحْرم منها عامة السوريين.

* * *

ربما يتذكر القراء الكرام الذين تابعوني في هذه السلسلة أنني قدمت لها بمقدمة شرحت فيها سبب كتابتها ونشرها، وأرجو أن تحتملوني وأنا أقتبس في هذا المقام بضعة سطور منها. قلت: إن الثورة مشروع لجماعة السوريين وليس لبعض أفرادهم، ولقد شارك الشعب كله أو جُلّه في دفع ثمن النصر، فلن نرضى أن تحرمنا منه فئة قليلة وأن تدفعنا إلى الهزيمة بسبب أخطائها وتجاوزاتها. الثورة هي السفينة التي نرجو أن تحملنا جميعاً إلى البر الآمن، فهل ترون أن نسمح لثلّة منّا بخرق جزء من أرضها؟ النبي صلى الله عليه وسلم ذَبّرنا أن سكوتَ سائر ركاب السفينة عن الخَرْق ورضاهم به وعدمَ التدخل لوقفه جريمةٌ جماعية يدفع الكل ثمنها، قال: "فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونَجَوا جميعاً".

هذا ما قلته من قبل، وأزيد عليه اليوم: إننا ربما استهترنا بالخَرْق الصغير لأنه صغير، ولكنه سوف يتسرب منه ماء البحر حتى يبتلع البحرُ السفينةَ ولو بعد حين. وربما خَوّفتنا قوةُ الخارق الذي يخرق أرض السفينة فأحجمنا عن الأخذ على يده، ولو تدبرنا لرأينا أننا قد نضحي - لو نازعناه ومنعناه - بألف واحد منا، ولكننا سننقذ من الغرق ألفَ ألف إنسان.

إن التجاوزات والاعتداءات والأطماع الشخصية لبعض المجموعات المسلحة التي تنسب نفسها إلى الجيش الحر (وما أبعدَ صلتَها بالجيش الحر) تعرّض الثورة كلها للخطر، وفي أقل الأحوال فإنها تؤخر النصر وتزيد المعاناة. لقد عانت الأمة المسلمة طويلاً من استئثار الفئة القليلة المتغلّبة بثروات الأمة ومواردها، وقد ثارت أخيراً لكي تمنع هذا السرطان الخبيث، وتصدّرت سوريا ثورات الأمة، بل تصدرت ثورات الدنيا بالثبات والإصرار. لن يسمح السوريون بعد اليوم بأن يجوع الملايين لكي يأكل ألفُ لص حتى التخمة، ويَعْرى الملايين ليلبس ألف لص الذهبَ والحرير، ويعيش الملايين الشهرَ بألف ليرة ليعيش ألفُ لص اليومَ الواحد بملايين الليرات. إن عصابة من قطاع الطرق تستولي على حقل نفط أو مخزن حبوب ثم تبيعه لحسابها إنما تكرّس ذلك الواقع المرير الذي ثرنا لنغيره، والذي لن نسمح بأن يتكرر بعد اليوم إن شاء الله.

لقد ثار الشعب السوري المقدام على أسوأ أنظمة الإجرام في هذا الزمان، فهل ستعجزه جماعات من اللصوص؟ لن تفعل إن شاء الله. لقد آن الأوان لتنظيف الثورة من الأدران، آن الأوان للثورة على سارقي الثورة الذين يستغلون تضحيات الملايين. وكما اشترك في الثورة الأولى

المدنيون مع العسكريين، هؤلاء بالمظاهرات والاعتصامات وأولئك بالبنادق والمدافع، فكذلك تكون الثورة الثانية، باجتماع الطرفين والصبر والإصرار على الحق حتى يعود الحق إلى أهله، وحتى يتحرر الناس من استبداد المستبدين الجدد الذين يستغلون القوة للاعتداء على الضعفاء الآمنين، وحتى تعود ثروات الأمة إلى الأمة ولا تبقى نهباً للناهبين.

* * *

إن الثورة المطلوبة على الفاسدين من أهل السلاح ليست خياراً من خيارات الرفاهية، بل هي من شروط البقاء في معركتنا الفاصلة مع النظام. وللحديث بقية أكملها غداً إن شاء الله.

(2)

عندما بدأ التهجير العرقي في مدينة حمص في العام الماضي وجد المجاهدون أنفسهم أمام مشكلة كبيرة، فإن مئات الأسر أمست في العراء بلا مأوى، وفي بعض أحياء المدينة الآمنة بيوتٌ مغلقة ليس فيها ساكنون، فلم يجرؤ أحدٌ منهم على الدخول إلى بيت منها إلا بعدما استفتَوا أهل العلم، فلما علموا عملوا بالفتوى بلا تجاوز ولا عدوان. وأخبرني أخ كريم من بعض كتائب حوران أنهم ربما أرسلوا الواحدَ منهم إلى دمشق، فيجازف بنفسه ويتعرض إلى خطر الموت أو الاعتقال، فقط من أجل فتوى في مسألة من مسائل النوازل لم يعثروا لها على جواب.

هذه أمثلة قليلة فحسب، ولو استقصينا لملأنا من أمثالها مجلدات. أولئك هم المجاهدون حقاً، الذين باعوا الدنيا وما فيها من أجل الآخرة، والذين خرجوا في سبيل الله فلن يُغضبوه بتجاوز حدوده والاعتداء على حرماته. ولكنْ ليس كل الذين حملوا السلاح وشاركوا في حرب التحرير على أنقى قلب وأخلص نيّة، بل إن منهم من يُنسى في بعض الأوقات أنه يجاهد في سبيل الله، فربما نسي في تلك اللحظات أخلاقَ المجاهدين. ثم إن بعض الناس من العامّة حملوا السلاح ولم يحملوا أخلاقه، فهم مجاهدون صادقون في ساحات النزال ولكنهم قساة جفاة في تعاملهم مع الناس. إن للقوة فتنة لا بد منها، فإنّ مَن استغنى بقوته مالت به نفسُه إلى الطغيان. أليست هذه هي القاعدة التي قررها خالق الإنسان: {أنْ رآه استغنى}؟ وليس لهذا الميل إلا رادع من داخل النفس، قوة الإيمان، ورادع من خارجها، قوة القانون.

في المقالة السابقة وصفت مشكلة الكتائب الدخيلة على الجهاد وعلى المجاهدين، التي تعتدي على الناس وتنهب أموال الأمة، وتلك المشكلة علاجها ميسور بإذن الله لأن العدو فيها ظاهر مكشوف، أما المشكلة التي أصفها اليوم فإنها أخطر وأصعب، لأنها تتعلق بالأخطاء والتجاوزات التي تصدر عن حَمَلة السلاح الذين هم منا ومعنا في خندق الثورة وهم الشركاء في حرب التحرير والاستقلال، الذين يحملون اسم الجيش الحر ويحاربون العدو حرباً صادقة مخلصة، والذين قَبِلهم الناس لأنهم كذلك وتحالفوا معهم الحلف الوثيق للمضيّ إلى آخر الطريق.

هؤلاء بشر من الناس ولا بد أن يخطئوا كما يخطئ الناس، ومن ظن غير ذلك فقد جانب الصواب، ولكنّ الأعظمَ خطأ من يقول: اتركوا أخطاءهم لا تقوّموها، إن جهادهم يغفر لهم، وما أدراكم لعلهم كأهل بدر الذين اطّلع الله على سابقتهم فغفر لهم؟ أقول لهؤلاء: لقد أخطأتم في الاستشهاد، فإن الخطأ لم يُقبَل من البدريين كما لم يُقبَل من غيرهم. لقد تعقب الله تبارك وتعالى أخطاءهم بالنقد والتقويم، ولكنه عفا عنهم وغفر لهم، ولو أنه ترك الجماعة وأخطاءها لأفنت الجماعةُ نفسها بتكرار الأخطاء.

* * *

في سوريا اليومَ حالةٌ معقدة، فقد انهارت الدولة وبقي النظام؛ بقيت الأجهزة الأمنية والعسكرية التي تحفظ للنظام حياته، في غياب كلي أو جزئي لكل الأجهزة المهمّة الأخرى: الصحة والتعليم والقضاء والإدارة المحلية والصناعة والزراعة والاستيراد والتصدير والطاقة والمياه والاتصالات والمواصلات.

لكن الثورة السورية التي أتقنت الهدم أتقنت البناء كذلك؛ إنها تهدم النظام الفاسد المريض وتبني محله نظاماً صالحاً صحيحاً معافى، فحيثما ذهب المرء في المناطق المحررة وجد الأجهزة البديلة تنبت كما تنبت من الأرض سنابلُ القمح الذهبية لِتَهَب للناس الحياة. السوريون الأحرار ينشئون المخابز والمدارس والمستشفيات، ويديرون المحاكم الشرعية وينظمون الخدمات المحلية، ويرمّمون خطوط الطاقة وأنابيب المياه، ويشقون الطرق ويشغّلون شبكات الاتصالات.. إنه عمل عظيم تقوم به جيوش من المخلصين، من الجنود المجهولين الذين لا يكاد يعرفهم الناس ولم يقدروهم حق أقدراهم، ولكن الله لا ينسى عمل المحسنين وثوابه خير وأبقى.

هذا العمل العظيم يحتاج إلى أمرين: تأمين الموارد، وحماية المرافق العامة وفرق العمل. إذا اعتدت جماعات مسلحة على مرافق الدولة أو سيطرت على مواردها واستثمرتها لصالحها فإنها تهدد ذلك المشروع العظيم، وإذا تعرضت الفرق العاملة إلى الحصار والأخطار فإن المشروع سوف يتوقف أيضاً. الخطر الأول يأتي من بعض الجماعات المسلحة العشوائية التي ذكرتها في المقالة الماضية، وهي لا بد لها من تصحيح أخطائها ورد الحقوق إلى أصحابها ولو بالإكراه. الخطر الثاني يأتي من ممارسات سلبية وتجاوزات يقوم بها كثيرون من الذين ينتسبون إلى الجيش الحر ويحملون اسمه، وهي مما لا يصحّ أبداً أن يبقى بلا علاج.

إننا نسمع ونقرأ عن تجاوزات تقوم بها مجموعات مسلحة هنا وهناك، تتراوح بين الاعتداء على الطواقم الطبية كما حصل في درعا مؤخراً، إلى استهداف بعض الناشطين الإعلاميين، وهو أمر تكرر في حلب وغيرها، إلى إعاقة عمل القضاة وأعضاء الإدارات المدنية، وقد وقعت في الشرق والشمال وقائع شتى من هذا القبيل، كما بقيت حادثة الاعتداء المؤلم على دار القضاء بحلب بلا تفسير ولا اعتذار حتى اليوم، رغم المطالبات الكثيرة التي قدمتها جهات ثورية متعددة، وفي ريف دمشق تعاني الهيئة الشرعية من تجاوزات بعض الكتائب، فيكاد يتعرض النظام العظيم المُحكَم الذي أنشأته الهيئة الشرعية في شهور من العمل الدؤوب إلى الانهيارِ الكامل لا قدّر الله.

إذا فقدت الكوادر الطبية والإعلامية والإدارية الأمان، وإذا تمرد العسكر على القضاء الشرعي لأنهم يملكون القوة، وإذا استباحت بعضُ المجموعات المسلحة مواردَ وثروات البلاد، وإذا استمرت هذه الممارسات السلبية طويلاً، فإن الأثر الذي سينشأ نتيجة لذلك كله لن يقتصر على إضعاف الثورة وتأخير النصر، بل إنه يمكن أن يصل إلى تفكيك التحالف العظيم بين الثورة المسلحة وحاضنتها الشعبية، وقد يهدد الثورة كلها بالإخفاق لا قدّر الله.

* * *

لا بد من توافق سريع بين العسكريين والمدنيين على اقتسام الوظائف وتحديد المسؤوليات. من الضروري أن يتعاون وجهاء القوم والعلماء والدعاة في كل مدينة وناحية مع الهيئات الإغاثية والطبية لترميم أجهزة الدولة المنهارة وإعادتها إلى العمل، ومن الضروري أن تقتصر وظيفة أهل السلاح على حماية الكوادر العاملة والمرافق والأجهزة الجديدة، حتى لا تختلط القوة العسكرية بالسلطة المدنية أو تعلوَ قوةُ السلاح على قوة الحق والقانون.

يا أهل السلاح: تذكروا أن الطريق إلى الحرية يحتاج إلى يد تبني ويد تحمل السلاح. تذكروا أن إنشاء وصيانة أجهزة الدولة الحرة الجديدة خطوات ضرورية في الطريق إلى الاستقلال الحقيقي، وأن المطلوب منكم ليس المشاركة في إنشائها وإدارتها بل حمايتها وحماية كوادرها العاملة، فلا يجوز الاعتداء على موارد البلاد وممتلكات الشعب، كما لا يجوز الاعتداء على أملاك أفراد الناس. وليست أملاك الناس مالاً وعقارات فقط، بل إن من أملاكهم الحرية والكرامة، بل إن الكرامة أغلى من المال وأغلى من الجوهر، فلا تعتدوا على حرية إنسان ولا تنتقصوا من كرامة إنسان، واتركوا الأحرار ليتدبروا عمارة وإدارة البلاد ورعاية مصالح العباد.

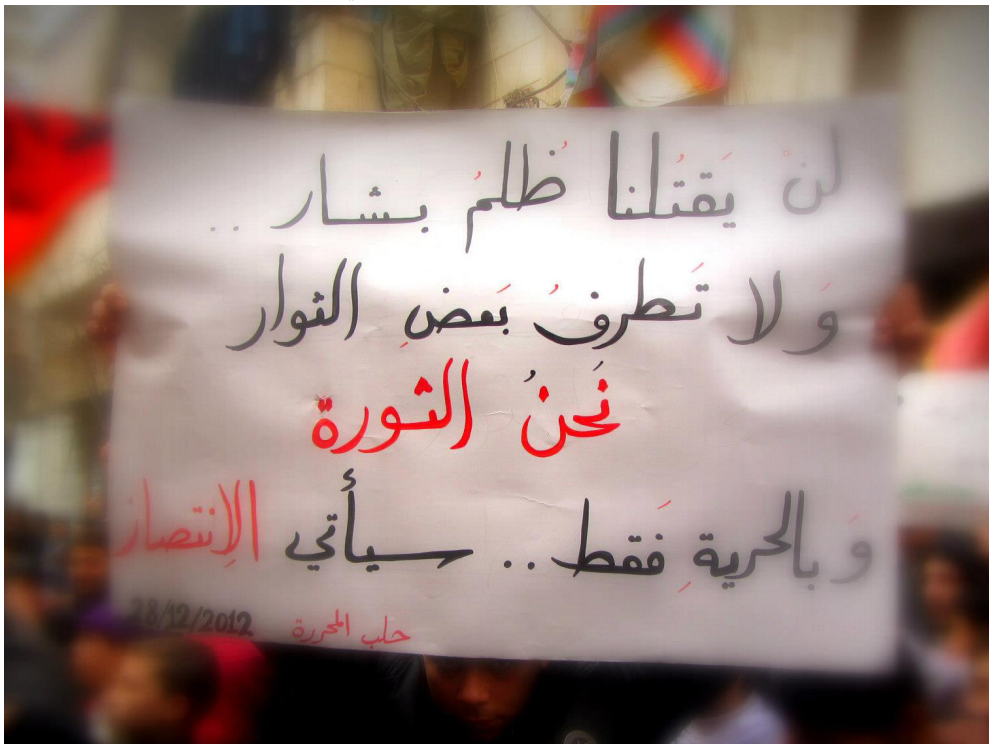

الثورة بين "القاعدة" والقمة

■ خالد كنفاني

كما كان متوقعاً منذ فترة طويلة، خرج علينا بيان جبهة النصرة الذي يبايع أيمن الظواهري بما يعني تبعية هذه الجبهة للقاعدة بشكل رسمي، مثلما خرج البيان الآخر المطالب بإنشاء دولة الشام الإسلامية.

تنتشر المحاكم "الإسلامية" في عدد من المناطق "المحررة" في حلب وغيرها، وهي توزع صكوك الملكية ووثائق الزواج والطلاق والإرث وفق أوراق لا يعلم أحد مدى مصداقيتها أو قيمتها القانونية بعد سقوط النظام.

ويتخوف كثيرون من أن جبهة النصرة وغيرها من التنظيمات السلفية تسعى لفرض الحجاب على المرأة ومنعها من قيادة السيارة وغير ذلك من "البدع" السلفية في القرن الحادي والعشرين.

ويبقى الائتلاف والمعارضة في الخارج على نفس معدل البلاهة الذي عهدناه مع الطرفين منذ البداية.

"سوريا ليست العراق والسوريون ليسوا كالشعب العراقي"، هي جملة طالما كررها المعارضون والطارئون على الثورة وأنصاف المثقفين وأشباه المعارضين، ودفنوا رؤوسهم في الرمال رافضين واقعاً بات يتضخم ويبرز إلى الوجود بعنف وقوة غير مسبوقين. لم يرد هؤلاء (أو أنهم لا يعلمون أصلاً) أن عدم فهم الواقع بصورة واقعية لا يبني المستقبل ولا يؤسس لحياة، وها هي التفجيرات والانقسامات المدوية بين الفصائل والكتائب والقوى على الأرض تطفو إلى السطح ويبدو معها عمق الهوة بين كل اللاعبين على الساحة السورية.

"سوريا ليست أفغانستان"، جملة غبية أخرى قالها لنا أكثر من مرة أكثر من معارض من أولئك الذين يتقنون الصياح ولا يعرفون الكلام. نسوا التاريخ والسياسة ورفضوا الجغرافيا. نسوا أن أفغانستان نفسها لم تكن أفغانستان الحالية إلى أن قرر الخليج "جهاد الكفار" فاخترعوا أسامة بن لادن ودفعوا بآلاف الشباب إلى أفغانستان للجهاد هناك وفلسطين لا تبعد سوى كيلومترات عن قصور الحكم في الرياض والكويت.

"سوريا ليست لبنان"، لم نعرف هل هذه مذمة أم مديح؟ فالسوريون واللبنانيون متقاربون جداً في الكثير من الصفات الاجتماعية والتاريخية ولم يفصل بينهم سوى الجنرال غورو ليخترع أسطورة لبنان من هذا الجبل (بتعبير د. كمال الصليبي)

"سوريا ليست مصر"، هنا جاء دور رأس النظام في سوريا، والذي أصر بعد سقوط نظام مبارك أن السوريين مختلفون وأنهم مؤيدون لنظامهم وسعداء ولا ينقصهم شيء. "سوريا ليست ليبيا أيضاً"، هو ذات المسلسل يكرره الأسد رغم دخول الحراك الشعبي في سوريا حيز التنفيذ، إلا أنه وكالنعامة أيضاً أصر على دفن رأسه في الرمال المتحركة فانكشف وتعثر وأودى بالبلاد والعباد إلى الهاوية.

في كل ما سبق، بماذا تختلف المعارضة عن النظام؟ الفلسفة نفسها والعقلية الإقصائية نفسها والبلاهة السياسية ذاتها والجهل بالتاريخ والجغرافيا ذاته. فهل نستبدل أبلها بأبله؟ سؤال برسم الائتلاف وما والاه من قوى وتيارات وفصائل وكتائب ملأت الدنيا ضجيجاً ووعوداً بالتحرير والمعارك الكبرى التي نرجو ألا تكون خاتمتها كأم المعارك التي دمرت العراق وأهله إلى غير رجعة (في المستقبل المنظور على الأقل).

تعدنا جبهة النصرة بنعيم مقيم إذا اتبعناها وبجحيم مسعور إذا عصيناها، وقد كان البعث يزج بنا في المعتقلات إذا عارضناه ويتركنا لشؤوننا إذا أيدناه، فهل نستبدل طاغية بآخر؟

على مدى العقود الماضية كانت شكاوانا وشكاوى معارضي الخارج (عكس الداخل) هي قيام النظام الحالي بعسكرة السوريين وفرض قوته بالسلاح، واليوم يأتينا الجيش الحر وجبهة النصرة ويطلبون فرض الأمن والسيطرة على مناطقهم بقوة السلاح أيضاً، فهل نستبدل بسطاراً بآخر؟

كان الفساد أحد أهم مسببات الحراك الاجتماعي الجارف في سوريا بعد أن نهبت مجموعة صغيرة مقدرات البلد وأرزاق الناس، واليوم يطل علينا من يبيع برميل البترول المنهوب بسبعة دولارات إلى تركيا، فهل نستبدل فاسداً بآخر حتى وإن كان اسمه أولاد الرسول أو أحفاده أو أولاد عمه؟

كانت الطبقة الحاكمة بعيدة عن الناس وهموم الناس، وكان الجميع يرى السيارات الفارهة والقصور في حوزة "المناضلين" ودعاة الاشتراكية وأعداء الرأسمالية والامبريالية، بينما كان الفقير يزداد فقراً دون أن يسمع أحد معاناته أو شكواه. وهاهم أعضاء الائتلاف الأكارم يزورون في الشمال "المحرر" زيارات دورية بروتوكولية لا تختلف كثيراً عن زيارات الفنانين والممثلين والراقصات للمخيمات ومجمعات اللجوء. يلتقطون الصور مع بعض الأطفال الجوعى والنساء الثكالى ليخرجوا بعدها إلى اسطنبول والدوحة ويتسولوا المزيد من الدولارات لتغطية نفقات سفرياتهم التي لا تنتهي ومؤتمراتهم الباذخة لينافشوا هموم المواطن السوري. يأتينا بالباراشوت وبشكل مباغت رئيس حكومة لم تطأ قدماه سوريا منذ خمسة وعشرين عاماً ليقود سوريا (أو ما سيتبقى منها) بعد سقوط النظام، ولا ينسى "سيادته" بالطبع أن يسير على خطى سابقيه سواء من رموز النظام أو المجلس الوطني والائتلاف فيزور بعض قرى الشمال السوري ويصافح رعيته بيده الكريمة ثم يغادر محفوفاً بكل رعاية وتكريم (وبنادق) على أمل انتظار الزيارة القادمة. فما الذي نستبدله اليوم بماذا؟

مللنا كارازاي وطالباني والحريري وكل أولئك الذين هبطوا فجأة على أوطان وجدوا أنفسهم بعيدين عن همومها ومشاكلها وادعوا أنهم المنقذون المخلصون فوقعنا في شراك فاسدين نهبوا البلاد والعباد وخربوها وجلسوا على تلتها كما يقول المثل السوري.

وها هو الجيش الحر يسحب اعترافه بالسيد هيتو بعد يوم واحد من "مبايعته" في مسلسل بدأ ولن ينتهي قبل أن يصبح في سوريا مائة رئيس حكومة وخمسون والياً وأميراً وثلاثمائة زعيم وشيخ وقائد ووزير وغيرها من المناصب المجانية التي يطلقها من يشاء على من يشاء دون أية معايير تتعلق بالكفاءة أو الإخلاص أو الوطنية.

كم تبقى من عمر هذه الثورة قبل أن يخطفها الخاطفون أو يغصبها الغاصبون؟ تتبرع الإمارات العربية المتحدة "مشكورة" بألفي كرفانة مكيفة ومجهزة لتتم إضافتها إلى مخيمات اللجوء السرمدية في الأردن والتي لا تعرف الألوان ولا الحركة، مخيمات للموت البطيء دفعت المئات بطلب العودة إلى بيوتهم السورية مفضلين الموت على المذلة وهو شعارهم منذ البداية ضد النظام فكيف يقبلونه من "أصدقاء سوريا"؟

نخشى أن يطول أمد الكارثة السورية التي تذكرنا يوماً بعد يوم بنكبة فلسطين. يذكر الكثير من الفلسطينيين أنهم حملوا معهم مفاتيح بيوتهم لما خرجوا عام 1948 عندما وعدهم الحكام العرب بالنصر القريب وبأنهم سيعودون إلى بيوتهم بعد أقل من شهرين. وحمي وطيس المعركة وهرب العرب وانهزموا وتقاعسوا عن الحرب وسلموا أرض فلسطين لليهود وكبرت المخيمات وتحولت إلى مدن وقرى كاملة وأصبح اللجوء حالة إنسانية واجتماعية وليس مسألة مؤقتة وحسب.

واليوم يقوم العالم كله بتكريس حالة اللجوء والهروب المستمر للسوريين من الموت من كل الأطراف، فإن لم يقتلهم صاروخ السكود قتلتهم طلقات قناصة الجيش الحر والنصرة ولواء التوحيد وكتائب صدام وألوية المرابطون وغيرها من عشرات الجهات والفرق التي لم يعد أحد قادر على إحصائها أو معرفة مموليها.

مسيرة الثورة السورية صعبة ومعقدة ومليئة بالأشواك من الداخل والخارج، ولئن قدر لسوريا أن تبقى وطناً واحداً فستكون الثورة قد حققت هدفاً مهماً، غير أن المهمة تبدو في غاية التعقيد والتحديات كبيرة جداً. كيف سيتعايش السوريون مع بعضهم فيما بعد؟ سؤال لن تجيب عنه سوى الأيام القادمة، ولكن لن يكون بمقدور أي كان الإجابة عليه، فالأسئلة الكبيرة تحتاج إلى كبار للإجابة، أما الصغار فمكانهم قاع التاريخ ولن يطلب أحد منهم أية مساعدة.

المرسوم التشريعي رقم 20 لعام 2013 الخاص بجريمة خطف الأشخاص

■ ياسر مرزوق

تعتبر جريمة الخطف واحدة من الجرائم الخطيرة التي بتنا نسمع عنها بشكل متزايد، وتكمن خطورتها في أنها قد لا تتوقف عند فعل الخطف فقط، بل تتجاوزه في كثير من الأحيان إلى جريمة القتل أو الاغتصاب أو الابتزاز، وقد يكون أحياناً جرم الخطف من أجل الزواج ، وأيا كانت الغاية من وراء جرم الاختطاف فإن قانون العقوبات السوري يعاقب على هذا الفعل بكثير من الصرامة في بعض مواده. وجرم الخطف هو كل فعل يقصد به حمل المخطوف بالخداع أو العنف على الانتقال من مكان إلى آخر دون إرادته ومنعه من الخروج وحرمانه من حريته الشخصية وهو جريمة قصدية وللخطف أهداف وأغراض قد تكون اجتماعية أو سياسية أو مادية فمثلا الخطف بقصد طلب الفدية والتي كثرت في الآونة الأخيرة. و المواد التي تعاقب على هذه الجريمة هي:

المادة 500:

1 ـ من خطف بالخداع أو بالعنف فتاة أو امرأة بقصد الزواج عوقب بالحبس من ثلاث سنوات إلى تسع سنوات.

2 ـ يتناول العقاب الشروع في ارتكاب هذه الجريمة.

المادة 501

من خطف بالخداع أو العنف أحد الأشخاص، ذكراً كان أو أنثى، بقصد ارتكاب الفجور به عوقب بالأشغال الشاقة تسع سنوات. وإذا ارتكب الفعل المذكور فلا تنقص العقوبة عن إحدى وعشرون سنة.

المادة 502

تفرض العقوبات السابقة إذا ارتكب الفعل دون خداع أو عنف على قاصر لم يتم الخامسة عشرة من عمره.

المادة 503

يستفيد من الأسباب المخففة المنصوص عليها في المادة 241، المجرم الذي يرجع المخطوف من تلقاء نفسه في خلال ثماني وأربعين ساعة إلى مكان آمين

لكن المادة 508 من قانون العقوبات توقف الملاحقة بحق الجاني المغتصب وتعلق تنفيذ العقوبة في حال صدور حكم بحقه! كواحدة من أخطر المواد القانونية التي تمهد الطريق أمام البعض بارتكاب مثل هذا الجرم وهي تنص على:

المادة 508: 1 ـ إذا عقد زواج صحيح بين مرتكب الجرائم الواردة في هذا الفصل وبين المعتدى عليها أوقفت الملاحقة، وإذا كان صدر حكم بالقضية علق تنفيذ العقاب الذي فرض عليه.

وقد ظهرت الثغرة القانونية في النص التشريعي بموضوع الخطف خلال الأحداث التي حصلت في سورية على مدى العامين المنصرمين حيث كانت العقوبة بسيطة ولا تتلاءم مع مستوى الجرم وأيضاً ما زال هناك الكثير من الأفعال المندرجة تحت عنوان الخطف غير ملحوظة في قانون العقوبات.

وفي الحقيقة أن موضوع الخطف جاء في نصوص مواد قانون العقوبات في المادة 500 وحتى 503 حيث كان القانون يعاقب على الخطف بالخداع أو العنف بقصد الزواج وفي المادة 501 على خطف الأشخاص بقصد ارتكاب الفجور ولا يوجد في القانون السوري نصوص خاصة بالخطف لأشخاص لأسباب مالية أو أسباب سياسية أو أسباب طائفية أو مذهبية وهذه كانت ثغرة ضمن نص القانون، أيضاً لا يوجد نصوص قانونية تعاقب على خطف الطائرات أو خطف السفن وهذا أيضاً قصور بالقانون السوري.

مع اندلاع الثورة السورية وفي عامها الثالث ، والانفلات الأمني المقصود أحياناً أو الناتج عن ضعف النظام أحياناً أخرى انتشرت ظاهرة الخطف وبشدة مما دعى لإصدار المرسوم التشريعي رقم 20 الذي لم يذكر صراحة عمليات الاعتقال الممنهج التي يقوم بها النظام حتى ان البعض بات يعتبر أن الأذرع الأمنية و"الشبيحة" هم أكبر جهة تقوم بعمليات "الخطف" في سوريا ، والفرق الوحيد بين الاعتقال وعمليات الخطف التي تقوم بها بعض الجماعات المسلحة بان من "يُختطف" على الحواجز أو من قبل العناصر الأمنية والموالية للنظام لا يعرف عنه شيء.

ولكن الأمن والشبيحة لم يعودوا هم الخطر الوحيد الذي يتهدد المواطن السوري بالخطف، ولم تعد هذه العمليات التي انتشرت بشكل واسع مع انحسار تواجد الدولة عن كثير من المدن السورية مقتصرة على "العناصر الموالية"..

وقد نص المرسوم التشريعي على ما يلي:

المادة (1) كل من خطف شخصاً حارماً إياه من حريته بقصد تحقيق مأرب سياسي أو مادي أو بقصد الثأر أو الانتقام أو لأسباب طائفية أو بقصد طلب الفدية يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة.

المادة (2) وتكون العقوبة الإعدام إذا:

أ - نجم عن جريمة الخطف وفاة أحد الأشخاص.

ب - حدثت عاهة دائمة بالمجني عليه.

ج - قام الفاعل بالاعتداء جنسياً على المجني عليه.

المادة (3) تنزل العقوبة المشار إليها في المادة 1 من هذا المرسوم التشريعي بكل شخص يبتز المجني عليه بأي شكل كان أو زوجه أو أحد أصوله أو فروعه بشكل مباشر أو غير مباشر.

المادة (4) يستفيد من العذر المحل كل من لديه مخطوف فبادر إلى تحريره بشكل آمن أو قام بتسليمه إلى أي جهة مختصة خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ نفاذ هذا المرسوم التشريعي.

المادة (5) ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية.

والفارق بين المرسوم الجديد وقانون العقوبات السوري هو تشديد عقوبته وهذا ما نشاهده في المرسوم التشريعي الذي صدر ليؤكد بأن الخطف الذي يتم لتحقيق أهداف سياسية أو مادية أو بقصد الثأر أو الانتقام أو لأسباب طائفية فالعقوبة هي الأعمال الشاقة المؤبدة مع تشديد العقوبة إلى الإعدام في حال نجم عن الفعل وفاة احد الأشخاص أو الاعتداء على المجني عليه جنسيا أو أحداث عاهة دائمة به. كما شملت العقوبة من يبتز أهالي المخطوفين أو احد أصولهم أو فروعهم.

كما أن المرسوم أعطى العذر والحل لكل من لديه مخطوف بادر إلى تحريره بشكل آمن أو قام بتسليمه إلى أية جهة مختصة وذلك خلال خمسة عشر يوما من تاريخ نفاذ هذا المرسوم بحيث نجد أن المرسوم قد تشدد بالعقوبات لمن يقوم بمثل هذه الأفعال وبالوقت نفسه منح العذر الحل لمن تراجع عن فعله.

و فرض مثل هذه العقوبات الشديدة بحق الأشخاص الذين يرتكبون جرم الخطف سيكون له انعكاس من ناحيتين:

الأولى لردع الفاعلين كي يفكروا كثيراً قبل الإقدام على ارتكاب هذا الجرم كونه قد تصل العقوبة إلى الإعدام.

أما الانعكاس الثاني فسيكون بخصوص إعطاء الأمان النسبي للمجتمع والذي يوفره النص القانوني الرادع.

الدكتورة محيّا زيتون:
التجارة بالتعليم في الوطن العربي:
الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية

■ ياسر مرزوق

التعليم في وطننا العربي بحاجة إلى مراجعة شاملة وإصلاحات جذرية، وذلك لكي يواكب المتغيرات العالمية التي من أبرزها ثورة المعلومات والاتصالات وبروز التكتلات الاقتصادية الكبرى وازدياد حدة المنافسة بينها. وانعكاس ذلك على قضية التعليم بين الواقع الذي نعيشه، والمستقبل الذي نستشرف رؤيته، فقد أضحى التعليم الركيزة الأساسية لتقدم الدول والتكتلات الدولية. فالدول الصناعية المتقدمة تضع التعليم في أولوية برامجها وسياساتها.

ويعاني التعليم في العالم العربي من تحديات كبيرة حتى في الدول النفطية التي ترصد ميزانيات كبيرة للتعليم يرافقها سوءٌ في الإدارة، وقد عبرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "ألكسو"، عن خيبتها من تفشي "الأمية" في الدول العربية، حيث يعاني أكثر من ربع سكان هذه الدول الحرمان من "التعليم ومواصلة التعلم" وكشفت المنظمة التابعة لجامعة الدول العربية والتي تتخذ من تونس مقرا لها، عن "مخاوفها من عدم وجود فرص تقدم محرزة مبشرة بالنسبة لمحو الأمية في الوطن العربي".

وفي بيان بمناسبة اليوم العربي لمحو الأمية الموافق في الثامن من يناير، قالت المنظمة "يشير تقرير تحديات التنمية في الدول العربية لعام 2011 إلى أن معدل الإلمام بالقراءة والكتابة في الدول العربية وصل إلى 9. 72 ٪، أي أن نسبة الأمية تصل إلى 1. 27 ٪، منها قرابة 60 ٪ من الإناث".

وأشار تقرير الرصد العالمي للتعليم للجميع لعام 2011 إلى "وجود 6 ملايين و188 ألف طفل وطفلة غير ملتحقين بالتعليم في الدول العربية ممن هم في سن الالتحاق بالتعليم"، حسب "ألكسو" التي قالت إن "هذا العدد يمثل رافدا دائما للأميين العرب".

كما اعتبرت المنظمة العربية للتربية أن هذه التقارير إضافة إلى "ظاهرة التسرب من التعليم في مرحلته الأولى والتي تبلغ ما بين 7 و20 ٪ في معظم الدول العربية وتصل في بعضها إلى 30 ٪"، تشكل واحدة من أهم الأخطار التي تعترض التنمية البشرية والاقتصادية والإنسانية في الدول العربية.

ونبهت إلى أن "ملف الأمية لم يحظ بالعناية المستحقة، وأنه ما زال يمثل عقبة حقيقية في تحقيق أهداف خطة تطوير التعليم في الوطن العربي التي اعتمدتها القمة العربية في دمشق (سوريا) في مارس 2008".

وطالبت "جميع الدول العربية بأن ترتقي بملف مكافحة الأمية وتعزيز تعليم الكبار إلى صدارة اهتماماتها باعتباره يمثل قاعدة التنمية ويؤشر على مدى جديتها في تنفيذ خطة تطوير التعميم في الوطن العربي".

كتابنا اليوم التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية يلقي الضوء على أهم المستجدات التي شهدتها أنظمة التعليم على الصعيد العالمي، وفي البلدان الغربية بوجه خاص، في ضوء تعمّق العولمة في وجهها النيوليبرالي؛ ثم يتناول الكتاب الأوضاع الراهنة لقطاع التعليم في الوطن العربي، ويتعرض لمدى انكشاف أنظمة التعليم العربية وتأثرها بالمناخ العالمي؛ ويلقي الضوء على النماذج التي اتبعتها مجموعات من البلدان العربية لإحداث التحولات ذات الصلة بظاهرة الاتجار بالتعليم.

ويضع الكتاب رؤية مستقبلية لقطاع التعليم في الوطن العربي بناء على سيناريوهين يضع أحدهما هذا القطاع أمام مصير الاستمرار في مواجهة العواقب والمخاطر القائمة، ويتعامل الثاني مع الإشكاليات المختلفة من منظور الأهداف والمصالح الوطنية والقومية.

ويرى الكتاب إن ظاهرة العولمة التي أخذت تتعمق بوتيرة متسارعة في العقود الثلاثة الأخيرة امتزجت بالمنظومة النيوليبرالية التي مدت أذرعها لتتحكم بمختلف القطاعات الاجتماعية والثقافية والعلمية والتعليمية، لا الاقتصادية وحسب.

وفي سياق المزج بين العولمة والنيوليبرالية هذه، شهد قطاع التعليم في الوطن العربي، كما في العالم، تغيُّرات مهمة تمثلت بتزايد دور الأبعاد التجارية والسوقية في التعليم، وتغيُّر الطبيعة الاجتماعية والتنموية لهذا التعليم، وتراجع دوره كخدمة عامة تهدف إلى تحقيق منافع اجتماعية.

وهذا الكتاب الثاني للدكتورة زيتون في موضوع التعليم بعد كتابها "التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة وثقافة السوق" والذي قالت فيه: "إن أهداف التعليم تتشكل وفقاً لنمط التنمية السائد، قد تكون أهدافاً متواضعة مثل تواضع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ومعدلات التنمية بعامة، وقد تتجاوز تطلعات التعليم هذه الأهداف المحدودة في ظل طموح تنموي كبير، وحماس ومشاركة مجتمعية وتصميم سياسي على إحداث نهضة اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق.

إذن، السبيل لمواجهة مثالب العولمة والاستفادة من بعض منافعها يكون بالنهوض بالتعليم في إطار استراتيجية جادة للتنمية، يعززها التعاون العربي والسعي لإقامة محيط عربي للتعليم والبحث العلمي يحمي المصالح الوطنية والقومية في مواجهة قوى العولمة، ويضع الضوابط للتعاون مع الخارج ولدخول مؤسسات التعليم العالي الأجنبية في مجال التعليم العربي، وتحديد موقف عربي مشترك بشأن التعامل مع اتفاقية التجارة في الخدمات "الغاتس" وغيرها من القضايا الجوهرية التي لا يمكن كل قطر عربي على حدة مواجهتها منفرداً".

وتنبع أهمية الكتابين من خلال العلاقة الطردية بين التعليم والديمقراطية ، ففي ظل الحكم السلطوي، كان الطلاب يعلّمون في المقام الأول أن يكونوا رعايا طيّعين للدولة، وكانت تتم محاولة منع التفكير الخلّاق. كما كانت المعلومات

تعامل على أنها غير قابلة للنقاش. إذ ما من ديكتاتور يرغب في أن يتحدّى رعاياه سلطته ، أما اليوم وفيما تبدأ بعض أجزاء العالم العربي، من مصر واليمن إلى ليبيا وتونس، عملية إرساء أسس الديمقراطية، فإن الحقيقة البديهية، ولكن غالباً ما يتم تجاهلها، هي أن الديمقراطية لن تزدهر إلا في ظل ثقافة تقبل التنوع وتحترم وجهات النظر المختلفة، وتنظر إلى الحقائق على أنها نسبية، وتتحمّل المعارضة، لا بل تشجعها.

بعد عقود من الحكم السلطوي، سيكتشف الناس في البلدان التي تشهد انتفاضات شعبية أن مجتمعاتهم غير مجهّزة بالمهارات والقيم اللازمة لقبول قواعد سلوك تعددي مختلفة. ويتطلب جعل هذه المجتمعات ديمقراطية حقاً تغييرات ليس في بنيتها السياسية "قوانين انتخابية ودساتير، إلى ما هنالك"، وقيادتها وحسب، بل أيضاً تغييرات جادة ومستدامة في أنظمتها التعليمية.

إن تشجيع الديمقراطية وتوطيدها هو مفتاح التحولات السياسية الجارية حالياً، وثمّة حاجة ملحّة لإصلاح التعليم من أجل تعزيز المواطنة إذا ما أريد للديمقراطية أن تترسخ في العالم العربي.

ولعل أكبر تحدٍ يواجه تنفيذ هذا النوع من الإصلاح التعليمي ليس ذا طبيعة فنية، ولكنه تحدٍّ يرتبط بالإرادة السياسية. ومستقبل المجتمع العربي يعتمد على التغلب على هذا التحدي.

الدكتورة محيا زيتون: حائزة على دكتوراه الفلسفة في الاقتصاد من جامعة أكسفورد، بريطانيا (1972)، وأستاذة الاقتصاد في كلية التجارة فرع جامعة الأزهر للبنات. لها عدد كبير من البحوث والدراسات المنشورة في الكتب والمجلات العربية.

ميشيل كرشة 1900 - 1973

■ ياسر مرزوق

ولد ميشيل كرشة في حيّ القيمريّة في دمشق عام 1900، وهو من أسرة كانت تعمل بتجارة العقارات، تعلم في المدرسة البطريركية في دمشق وبدأت بوادر التصوير لدى "ميشيل" بفترة مبكرة من عمره، حيث كان يأخذ بعض الرسوم ويقلدها وفي فترة تعليمه الابتدائي نسخ صورة السياسي «وانكاريه» من معجم «لاروس» في مكتبة المدرسة، وقد قال عن تلك الفترة من حياته: " نشأت في بيت متواضع في حي الخمارات وأزيد عليها، وأحذف منها كل ما لا يعجبني، كنت فناناً بالفطرة طليقاً من كل قيد، أكره التقيد بالقواعد والعادات، وكل شيء في نظري ممكن ". واستمر على ذلك حتى بدأت الخدمة العسكرية في العهد العثماني، فشارك في الحرب العالمية الأولى، وهناك تبلورت موهبة التصوير لديه، حيث أعفاه ذلك من بعض الواجبات العسكرية.

انتقل عام 1919إلى باريس، حيث تقدم إلى مسابقة العمارة، لكن الحظ لم يحالفه في ذلك، ثم تقدم إلى مسابقة التصوير فدخل المدرسة الوطنية للفنون، وتنقل بين مراسم "مون بارناس" و"مونمارتر". وبقي مخلصاً لتعاليم أستاذه "لوسيان سيمون" التي لخصها بدعوة طلّابه إلى الاقتباس من كلّ المدارس الفنيّة، دون التأثّر بإحداها، وأن يجهد الفنّان أن يكون شخصيّاً في ابتكاراته، كما تأثر بالمدرسة الانطباعيّة فأصبح فنّاناً انطباعيّاً وتأثّر بـ " مانيه " و" رونو " كما أعجب بألوان "ماتيس" وكان يقول عن تجربته الفنية: "كنت دوماً أفضل الانطباعية التي هي أقرب ما يكون إلى ذوق شعبنا ورهافة حسه".

في عام 1925 في معرض الفنّانين الفرنسيين في باريس شارك «كرشة» في لوحتين: "نوفرة دمشق" و"منظر بلودان" عاد إلى دمشق في نهاية عام 1925 متخرجاً ومحترفاً بالتصوير، حاملاً طريقة جديدة بالتصوير إلى جمهور "دمشق" الذي كان معتاداً على رسم الفنان "توفيق طارق" للوحة خلال عام أو اثنين، لكن الأخير يعطي لوحة ذات طابع كلاسيكي مهم، فحمل "كرشة" أسلوباً جديداً بالتصوير، حيث كان ينجز اللوحة بدقائق معدودة، مستخدماً ألواناً مائية أو زيتية، مثل منازل للبدو أو غروب الشمس، دخل كرشة بعدها سلك التعليم في دمشق، وأصبح أحد المعلمين في التصوير بمدرسة عنبر. ومارس التعليم حتى عام 1949.

وفي عام 1926، وبمناسبة أول معرض نظم في دمشق، فاز بالجائزة الأولى على الفنّانين المبدعين "توفيق طارق" و"فايز العظم ". وفي عام 1930 شارك في معرض " آرت ديكوراتيف " الفرنسي بلوحتين: "مأذنة عيسى ومناظر ألف ليلة وليلة "، ابتاعتهما مجلة "إيللوستراسيون " وكتب عنهما الناقد الفنّي "بول بوشيه" قائلاً: لوحتا كرشة أضاءتا المعرض

عام 1943 ارتبط بالسيدة "أولغا جورجيادس"، وله أبناء منها وهم "ديمتري" و"فؤاد" و"فادي" و"سامي" الذي أصبح حالياً فناناً معروفاً بباريس، ويعمل بأسلوب فني معاصر، إضافة إلى "فريدي" وهو فنان تشكيلي أيضاً.

يعتبر " كرشة " أول من طرق أبواب الحداثة الفنية في حركتنا التشكيلية السورية المعاصرة التي أسس لها مع كوكبة من الرواد منهم توفيق طارق، عبد الوهاب أبو السعود، سعيد تحسين، صبحي شعيب، خالد معاذ، محمود جلال، أنور علي الأرناؤوط، رشاد قصيباتي، رشاد مصطفى، عبد العزيز النشواتي، زهير الصبان.. وغيرهم.

رسم ميشيل كرشة الأحياء الدمشقية والمساجد والقصور والبيوت الدمشقية وكانت لوحاته الزيتية تتبع للمدرسة الانطباعية التي ركز فيها على اللحظة الزمنية التي يشاهد فيه المشهد فكانت الإضاءة وسقوط بقع الضوء الساطع على اللوحة لها تأثيرها الساحر ولم يؤكد على إظهار التفاصيل بعكس المدرسة الكلاسيكية والتسجيلية والواقعية ولذا كان يغلب على أعماله الألوان الساطعة الباردة والتأكيد على الكتلة واثر سقوط الضوء عليها، وهو من رواد المدرسة الانطباعية في سورية.

أعماله مقتناه من قبل وزارة الثقافة السورية / المتحف الوطني بدمشق / القصر الجمهوري ـ دمشق / قصر الضيافة / المجمع العلمي العربي ـ دمشق / ضمن مجموعات خاصة. وقد تجاوزت لوحاته الألف لوحة موزعة في سورية، لبنان، فرنسا، أمريكا، إنكلترا، تشيكوسلوفاكيا، بلغاريا، رومانيا، روسيا، ومن أشهر أعماله لوحة "وقت الانصراف" وهي مقتنيات المتحف الوطني بدمشق، وكذلك لوحة باحة المسجد الأموي – ولوحة معلولا - وقهوة الصباح وأعمال أخرى لا تقل جودة وروعة.

قال عنه الناقد "عبد اللّه أبو راشد": " إنه لافته حضاريّة كريمة ونقلة نوعية في مساحة الوفاء والوجدان لعائلته التي حفظت هذه الثروة الوطنيّة والقوميّة من الضياع وقدّمتها في صورة جماليّة راقية تليق بمقامه ودوره التاريخي في ولادة الفن التشكيل السوري.. أمّا من تخرّجوا من واحة فنّه وخبرته ورعايته، وهم كثر، فقد شكّلوا نخبة مميّزة من الفنّانين التشكيليين السوريين الذين حملوا لواء الحداثة التعبيريّة في مدارسها الفنّية المختلفة». ومما قال أيضا عن كرشة: «إننا أمام فنّان تشكيلي عملاق يمتلك كل مقوّمات إنتاج الفن التشكيلي الخالد، ولا يقل موهبة وخبرة ومكانة عن سائر الفنّانين العظام في العالم، في عصر النهضة الإيطالية وما أعقبها من مدارس فنيّة واتجاهات وتيّارات.

كما قال تلميذه الياس زيّات، " كان لطيفاً وصاحب ظرف، أما ريشته فمرجوحة للضوء.. عرفته وتتلمذت على يده منذ عام 1952.. ورافقته في بلودان وفي دمشق.. كان ثوريّاً بالنسبة لما سبقه في دمشق كتوفيق طارق». وسار الزيّات في تحليل إنتاج معلمه بدءاً بالموضوعات ويقول «عالج كرشة المناظر الطبيعية بنوعيها المعماري والخلوي، كما عالج اللقطات الاجتماعيّة بين الصور الشخصيّة والمشاهد داخل المنزل، إلى المقهى والمتنزه والريف. كما عالج الموضوعات الاجتماعية والسياسيّة: «ثلاثية ميسلون» ولوحة «حرب السويس». واهتم كرشة في الوضع الاجتماعي والسياسي في زمنه.

حصل ميشيل كرشة على الجوائز التالية:

- الجائزة الأولى في معرض الفنانين "توفيق طارق" و"عبد الوهاب أبو السعود" و"سعيد تحسين" عام 1962.
- الجائزة الأولى في معرض فلوريدا الدولي في مسابقة الطوابع عام 1933.
- وسام الاستحقاق السوري عام 1933.
- جائزة التصوير الزيتي الثانية عام 1955.
- ميدالية في البينالي الأول بالإسكندرية لدول البحر المتوسط 1957.
- ميدالية في البينالي الثالث بالإسكندرية لدول البحر المتوسط عام 1959.
- وسام الثقافة بالإقليم السوري عام 1960.
- وسام من باريس عام 1964.

بقي كرشة مخلصاً لريشته واستمر بالرسم حتى وافته المنية عام 1973.

وهو القائل: «لا يمكنني أن أرسم أو أصوّر الجوع من دون أن أعانيه.. ». «ما يخرج من القلب ينفذ لا محالة إلى القلب.. ». «أحاسيس الفنّان ومشاعره تنعكس على إنتاجه.. فيكون انطباعياً»..

لوحة (دمشق والمسجد الأموي - لقطة بانورامية)

قرنفلةُ المُلازِم

■ سيامند حسين

لم يردّ عليه أحد. توقّف هديرُ المحرّك ولم يَعُدْ يسمع سوى أنفاسه المُتهشّمة. عندما نزل، كان يدوسُ على خطّ أسود يفصل بين أرض محروقةٍ جنوباً، وحقول قمح خضراءَ شمالاً، استطاعَ التعرّفَ فيها على كراج للآلات الزراعية في البعيد. اختلطتْ في أنفه رائحتا السنابل والرماد، وتناهتْ إلى سمعِه أصداءُ عذبة قادمة من مضخات الآبار الإرتوازية المتناثرة في عُمق الحقول، منفصلةً بوضوح عن أصواتَ تحليقِ مروحياتٍ حربيةٍ في الجهة الأخرى. ظنّ ذلك بدايةَ النصف الثاني لحلمِه المُكتمل ليلةَ أمس. عاد وصعدَ الشاحنة المعطُوبة، وقرّر الانتظارَ حتّى بزوغ الفجر.

كان صباحاً غائماً وبارداً من أيّام آذارَ الأولى عندما شعرَ بيدٍ تهزُّه:

- «مكالمةٌ لك. إنّهُ الرّائد حسن». قالت أمّه.

نهض مستاءً بعينين نصف مُغمضتَين واتّجه إلى الصالون. رفع سمّاعة الهاتف:

- «ألو.. ».

- «اسمعْ. خُذ دوريّةً من ثمانية عناصرَ واتّجهْ على الفور إلى حيّ القَابُون و.. ».

أغلقَ السماعةَ بقوّة، ثمّ شدّ كبلَ الهاتف بعنف فقطعَه. تصلّبَ جسمُه للحظاتٍ أثقلَ فيها صمتُ المكانَ برمّته. عندما التفتَ إلى الوراء، كانت عيناه تلتمعان في الخيال المنعكس لرأسِه فقط، على زجاجِ صورةٍ ضخمةٍ للأسد الإبن كانتْ معلقةً على الجدار. شعرَ بوَجَل، ربمّا للمرّة الأولى، عندما التقتْ عيناه بالعينين الزرقاوَين اللتين كانتا تنظران نحوَ الأسفل قليلاً. اقتربَ من الصورة المائلة بعضَ الشيء، ودفعَ بأصبعَيه زاويتَها السفلية ببطءٍ محاولاً جعلَ ضلعَ إطارها القائم متعامداً مع خَطّ التقاءِ الأرضية بالجدار. لوهلةٍ تذكّرَ أستاذَ الرياضيات قصيرَ القامة وشُرُوحَه عن المستويات المتعامدة أيام الثانوية. استعادَ تركيزه، وأسرعَ إلى غرفته يحزمُ على عجلٍ حقيبةً صغيرةً وضعَ فيها مُسدسَه ومخزناً إضافياً، شريطَ كاسيت لأمّ كلثوم، فرشاةَ أسنان، بعضَ الثياب، حاجياتٍ شخصيّة أخرى وصورةً فوتوغرافيةً لزوجته. تفقدَ الرّفّ بجانب الباب والتقطَ مفاتيحَه وبعضَ النقود، ووقعتْ عينُه على ماسورةٍ صغيرةٍ من الألوان الزيتيّة فقرّر أخذها أيضاً، وضعها معاً في جيبه وخرج من الغرفة.

كانت أمّه واقفةً أمام بابِ المنزل تجهَشُ بصمتٍ مُغطيةً فمَها بطرف منديلٍ أبيضَ رقيق تضعُه على رأسها. اقتربَ منها وضمّها بلُطف. ثم قال بصوتٍ اعتراهُ قليلٌ من الارتعاش:

- «ماما، قُولي لهم أن جماعةً مسلحةً اختطفتني هذا الصباح. اِعتَني بنفسكِ وبالصغيرة جيداً».

أومأَ إلى الصورةِ العملاقة وأضاف:

- «ستحميكُما من شرّهم».

فتحَ البابَ وخرجَ تاركاً أمّهُ تتذيّلُ وحيدةً بقيّةَ القصّةِ التي أصبحَ ابنها الآن مُتورطاً فيها. ركبَ شاحنةً صغيرةً من نوع (كيّا) كان يمتلكُها أحُدُوه الأصغر، وانطلق بسرعةٍ جنونيةٍ متّجهاً خارجَ دمشقَ شمالاً. ساعتين من القيادة مرّ فيهما على العديدِ من الحواجز؛ أمّنتْ له ورقةٌ ممهورةٌ من وزارةِ الدفاع، كان يحملُها دائماً، كُتب عليها: "مهمّة خاصّة - يرجى السماحُ لحاملِها بالمرور" اجتيازاً سلساً في كلّ مرّة دون أيّ مشاكل أواستفسارات. طوالَ ساعةٍ بعد ذلك تقريباً عبرَ طريقاً مستقيماً، خَلا من حواجز الجيش، تعاقبتْ على جانبيه أشجارُ الصنوبر المحنيَة بفعلِ الرّياح المُزمنة في المنطقة، والتي تُعرف بفُتحة حِمْص، وبدأ ذهنُه يَصفو. وكيلا يُفكّرَ بما حدث، حاولَ أن يُشغِلَ نفسَه بالنّظر، بين فينةٍ وأخرى، عبر النافذة الجانبيّة إلى المنظر الخارجيّ المُحاصَر، حيث غيومٌ ثخينةٌ داكنةٌ، تكادُ تلامسُ أبراجَ الكهرباءِ المنصوبة على التلال المشرفةِ على الطريق، كانت تحجُبُ ضوءَ النهار. سُرعانَ ما استسلمَ لشريطِ الذاكرة الذي راح يتوقّف عشوائيّاً، عند صورٍ كانت تُومِضُ وتنطفئُ مُنقبةً في ماضيه الغزير.

تذكّرَ زوجتَه التي تُوفيتْ قبل أربعةِ أعوام وهي تلدُ طفلتَهما الوحيدة. لقدْ فجعَهُ موتُها طويلاً، وتركتِ الحادثة في قَسَماتِه حُزناً خفيّاً كان يرافقُه أينما ذهب. كان صوتُه يختنقُ في داخله كلّ مرّة أراد التحدّث عنها. تذكّر جدّه، الذي لم يرَه إلّا في صورةٍ ملصقةٍ على وثيقةٍ عُثمانيةٍ قديمةٍ كان لا يزال فيها ابن الثامنة عشرة، وقصةَ مقتلِه طعناً بالسكّين على يدِ أحد رجالاتِ الآغا، ذلك بعد رفضِه مراراً طَلبَ الأخير بمشاركتِه في قطيع الغنم الذي كان يملكُه؛ فبحسب ما كان يروي والده، كان للجدّ ثلاثمئة رأس غنم يُغطّون سفحَ الهضبةِ الجنوبيّ للقرية بصوفٍ أبيضَ ورديٍّ، كلّ مساءٍ قبيل الغروب. وتذكّر بعدها، ما جرى في تلك الليلةِ حين عادَ إلى البيت متأخراً عن المعتاد، حيث ركضتْ ابنتُه الصغيرة لاستقبالِه فانحنى نحوها فاتحاً ذراعيه؛ لكنّها توقّفت حينها، وكانت نظراتهُا تتّجهُ إلى البقعة التي توسطتْ قميصَه الأبيض؛ فاستدركَ عندها قائلاً: «آه!.. سأنظّفه غداً. في الحقيقة، شعرتُ بالضّجر فحاولتُ رسمَ قُرنفلةٍ حمراء».

كان يُحبُّ الرسمَ كثيراً، وفي السنوات الأربع الأخيرة حيث أصبحَ يقضي فتراتٍ أطول في بيتِ القرية، كان قد اتّخذَ من الغرفة الخارجية الواقعة في فناءِ الدارِ بجانب المطبخ مرسماً له، كان كثيراً ما يسهرُ فيه مع أصدقائه. تذكّر ذاتَ يومٍ من أيامِ الصيفِ قبل سنتين عندما دخلَ المرسمَ في الصباح، فألفى ابنتَه تعبثُ بأنابيبِ الألوان. كانت قد عصرتْ بعضاً منها وأفرغتها على البلاط والأريكة، وأفسدتْ بها قطعةَ القماش التي كان أعدّها للرسم. كانت ابنتُه مثلَه، مُولعةً بالألوان.

قطعتْ عليه صفّاراتُ الحاجز، الذي كان قد صارَ على مقربةٍ منه، شرودَهُ الطويل. كانت رشقاتٌ من مطرٍ ناعمٍ تحرفُها الريحُ المتقطّعة، فتندلّقُ خُيوطاً دقيقةً على النافذة الأمامية؛ تأملها لبرهةٍ عندما توقّف بهدوء، ثم أخفض الزجاجَ ومدّ رأسه إلى الخارج. جاء إليه أحد العساكر، وكما في السابق تحقّقَ من هويّته ثمّ أشارَ لآخرَ بفتحِ الطريق. وفي اللحظة التي أدارَ فيها المحرّكَ، انصهرَ الهديرُ المُنتظرُ في أذنيه مع دويٍّ رصاصٍ وانفجاراتٍ تهالتْ على الحاجز مَن غيرِ سابقِ إنذارٍ وكأنّها رعودٌ متتالية ضربت الأرض. فرّ الجنود مسرعين إلى داخل الغرف الإسمنتية الصغيرة، وأخفضَ هو رأسَه على الفورِ. بقيَ لدقائقَ بلا حراكٍ مُحتمياً تحت الكرسيّ، حتى بدأ فجأةً يشعر بالغثيان، وبأتَ الضجيجُ من حوله يتخامدُ شيئاً فشيئاً. كان الرصاصُ يخترقُ زُجاجَ السيارةِ من كلِّ صوبٍ ويثقُبُ هيكلَها مُحدثاً رنيناً معدنياً حاداً.

لم يكنْ معصوبَ العينين. كان طوالَ الطريق ممدداً في الصندوق الخلفي لسيارة (البيك آب)، حيث كان رجلٌ يسقيه الماء باستمرار ويصفعُه على وجهه بين حينٍ وآخر بيدٍ ثقيلةٍ في محاولةٍ لإبقائه صاحياً. بالكادِ يذكرُ أنّه عندما استيقظَ وجدَ نفسَه مُمدّداً على سريرٍ في غرفةٍ باردةٍ أشبعتْ رائحةُ الكحولِ الطبيِّ المركّزِ هوائَها، أطباء وممرضُون يرتدون ثياباً وقفازاتٍ سوداءَ اجتمعوا فوق رأسه، حتّى كماماتهُم كانت سوداء. لم ينبسْ بكلمة. سمع أحدَهم، بدا أكبرهم سناً، يقول: «إصابته ليست خطيرة، لكنّه نزفَ كثيراً. المهمّ أن يستريحَ في السرير، ثلاثة أيام على الأقلّ».

لم يستطعْ التفكيرَ أو الارتكاسَ لشيء. شعرَ بدُوارٍ خفيف، وللحظةٍ خُيّلَ إليه سماعُ أغنيةٍ لأمّ كلثوم بدتْ قادمةً من خلف الجدارن. بعد ثوانٍ قليلة غفا ويده كانت تنزلقُ من فوق صدره بثقلٍ إلى جانبه.

الصباحُ مرّة أخرى. فتحَ عينيه بكسل، وبمشقةٍ اعتدلَ ساناداً ظهرَه إلى الوسادة والحائط، فوقعتْ عيناه على بقعةِ الدم المتّسعةِ على ضمادٍ من الشاش الأبيض لفّ جذعَه حولَ منطقةِ البطن. لَم يكن يشعرُ بأيّ ألم. راح يتفحصُ جسدَه محركاً رجليه وممرّراً يده على وجهه ورأسه. استدارَ قليلاً ليفحصَ ظهرَه، فتحَ فمه، تلمّسَ أسنانه بلسانه ثم قال بصوتٍ مسموع: «أنا بخير». فاطمئنّ لحاله. راح يستكشفُ الغرفةَ بعينيه، كانت متوسطةَ الحجم، وعلى الحائط المقابل له ثمّة ستارةٌ من قماشٍ أبيضَ رقيقٍ ومطرّز، تحجبُ شباكاً خلفها على الأرجح، إلى جانبها عُلقتْ لوحةٌ لآيفازوفسكي، عرفها وتذكّر عُنوانها: «بحرٌ عاصف»، ولّدتْ في نفسه شيئاً من الارتياح بعد أن تأمّلها لبرهةٍ في استغراب. كانت الغرفةُ مفروشةً ببعض الأثاث الخشبيّ، وكانت سجّادةٌ صوفيّةٌ مزخرفةٌ تُغطي الأرضية، وتمتدُّ من السرير إلى الباب الذي كان منفذَ الضوءِ الوحيد، حيث كان مجرّدَ فُتحةٍ مستطيلةٍ بمَقاسِ بابٍ في الجدار.

بعد قليل دخلَ عجُوزٌ ملثّمٌ يحملُ إبريقَ ماءٍ وكأساً، ووضعهما على الطاولة الصغيرة لِصقَ السرير،

ثمّ خرج. كانت يداه الزاخرتان بتجاعيدَ متراصّةٍ وليّنةٍ، وجلدهما قد رقّ كثيراً فوقَ الأوردةِ الزرقاء المنتفخة، تُشيران إلى أنّه في عقدِه السابع على أقلّ تقدير. راحت نظراتُ الملازم تلاحقُه بذهولٍ حتى انعطفَ مُختفياً وراءَ الجدار. تناول قليلاً من الماء، وهو يتأمّل المكان. مرّت ساعة أو ساعتان حتى بدأ ينتبهُ إلى الجلبةِ في الخارج، وسُرعانَ ما أخذَ الفضولُ يُلحّ عليه ويدفعه للنهوض من السرير. نزعَ إبرةَ السيروم وأغلقَ الصمّامَ أسفلَ الكيس، ثمّ اتّجه إلى النافذة وأزاحَ الستارة. كانت فتحةُ النافذة مسدودةً بالقرميد. استدارَ ومشى بخطواتٍ صغيرةٍ إلى عتبة الباب. كان الوقتُ ظهراً.

وقفَ ينظرُ إلى الخارج. كان ميداناً واسعاً، ازدحم بالناس. راح يمسحُ المشهدَ ببطءٍ من أقصى اليمين باتجاه اليسار، فرأى على بُعدِ بضعةِ أمتارٍ نساءً يزرعنَ الريحانَ في خُوذٍ مُلئت بتراب، ورأى جنوداً يكتبون رسائلَ ويضعُونها في مغلّفات، ورجالٍ إلى جانبهم بدواً أسرىً بثيابهم المخططة، يتناولون حساءً ساخناً على موائدَ خشبيّةٍ واطئة. ورأى أناساً غريبيّ الملامح ينشرُون ثياباً سوداءَ على حبالٍ فوقَ سطح الغرفةِ المجاورة. بقيَ واقفاً لدقائقَ، ودهشةٌ باردةٌ تجمّدتْ على مُحيّاه. من جهةٍ أخرى، بدتْ له الحياةُ طبيعيةً، والجميعُ بدوا مشغولين بشؤونهم. تشجّعَ ومشى بحيطةٍ بضعَ خطواتٍ يساراً، ثم انسلّ إلى الزُقاق بين الغرفتين، والتفتَ حول غرفته عبر طريق منحنٍ، أفضى به إلى شارعٍ مسقوفٍ كانت تُعرضُ فيه، على الجانبين، لافتاتٌ من كفرَنبل وعامُودا والزبداني ودارياّ وغيرها من البلدات. اكتظّ الممرّ بزوّارٍ كانوا يتفرّجون بصمت.

شعرَ بالقلق وكأنّه بدأ يصحو لتوّه على مجهولٍ قادمٍ. لكنّه لم يتوقّفْ، تابعَ حتّى وصل في نهايةِ الممرّ إلى ساحةٍ صغيرة، رأى فيها أطفالاً يصفّون عُلباً فارغةً قربَ جدارٍ، وآخرونَ يتدافعون لشراءِ الذُرةِ من بائعٍ يدفعُ عربةً حديديةً مظلّلةً بقطعةٍ من الخَيْش، كان يقبضُ لقاءَ ما يبيعُ مظاريفَ الرصاص الفارغة بدلاً من النقود. لم يكنْ أحدٌ يكلّمه. مرّ أربعةُ رجالٍ بجواره دون أن يُشعروه بوجوده، وكأنّه كان شبحاً. في لحظةٍ تراءى له أنّ أحدهم كان ينظرُ إليه خلسةً. تابعَ سيرَه وراحَ يدقّقُ النظرَ في كلّ التفاصيل قاطعاً الساحة إلى نهايتها. شاهد لوحةً مُروريّة تُنبّهُ إلى وجودِ سكّةٍ حديديّةٍ بدونِ حواجزَ، وبعدها كانت امرأةٌ حافيةٌ ترتدي معطفاً طويلاً وتضعُ نظاراتٍ شمسيّة، تذرعُ طريقَ السكّةِ المفروش بالحَصى جيئةً وذهاباً، وهي تحصرُ جريدةً تحتَ إبطِها. توقّفتْ عندما اقتربَ منها قليلاً دون أن تنظرَ إليه، فتوقّف. ثم استدارَ خافضاً رأسه كطفلٍ شعرَ بالخجل. ورغم أنّ قشعريرةً خوفٍ هزّتْ قلبه لحظتها، فقد سرّه أن المرأة أحسّتْ بوجوده؛ أو ربما هذا ما ظنّه على الأقل.

مشى في طريقٍ ترابيٍّ واسعٍ ترامتْ على جانبَيهِ بعضُ البيوتِ الحجريّةِ البسيطة، وتابع يرصدُ بقلقٍ كلّ حركةٍ أو إشارةٍ كحمامةٍ يتمايلُ رأسها بسرعةٍ في جميع الاتجاهات بحثاً عن كسرةِ طعامٍ سقطت على الأرض سهواً. في زاويةِ أحد البيوت، حيث كان السورُ منخفضاً ومسيّجاً بأسلاكٍ شائكة، رأى فتياتٍ يُلوّنّ حباتٍ من العنب الأبيض بألوانِ علمِ الاستقلال، بينما كانت فتاةٌ أصغرُ سناً تضيفُ عليها النجومَ الحمراءَ الثلاث. لم يجرؤ على الاقتراب من الأسلاك التي كدّرته رؤيتُها. تابعَ قليلاً فرأى عند الناصيةِ ثلاثةَ صناديقَ ضخمةٍ كان اثنان منها مفتوحَي الغطاء، استطاعَ أنْ يرى في الأوّل الكثيرَ من الكتب، وفي الثاني آلافَ الرصاصاتِ من عيار 7،62 مم، وبالقربِ منها كان يقفُ عصفورٌ مقيدُ الرجلِ بخيطٍ امتدَّ من مسمارِ دُقَّ في جدارِ الصندوق الثالث المُغلق. على يمينه تدلّتْ صورٌ لأشخاص، بدا وجهُ بعضهم مألوفاً له، من أغصان تينةٍ منتصبةٍ في وسط الطريق؛ لكنّه لم يتعرّف على أيّ منهم. تحت الشجرة طاولةٌ صغيرةٌ عليها أختامٌ واستمارات مبعثرة، لفتْ نظرَه جيشُ النملِ الأحمر الذي كان يُغطي إحدى قوائمِها. عند نهايةِ الطريقِ التي تضيّقت، متاريسُ رمليّةٌ مكوّمة، بجانبها برميلٌ صدئٌ فوقه صينيّةٌ صُفّتْ عليها كؤوسُ شايٍ ساخن. لقد بدا له البخارُ المتصاعدُ وكأنّه يرسمُ في الجوِّ كلماتٍ كانت تنحلّ سريعاً في الجوّ، كما مساحيقُ الألوان الجافّة في الماء. لم يكن هناك سوى عجوزٍ كانت تجلسُ شاردةً على حجرٍ مجاورٍ، استلطفَ وجودها على الحاجز وتمنّى لو أنّه يستطيع التحدّث إليها ولو قليلاً. إلا أنّه سُرعان ما عدلَ عن رغبته بعد أن داهمَه شعورٌ بأنّها كانت تُغافله بنظراتٍ مُقتضبة. أخذت الفكرة تستحوذُ عليه وهو يسترجعُ الوجوهَ التي لم تكنْ تنظرُ قطّ في عينيه. الغياب المُتأجّج للصوت هنا كان آخرَ ما ضيّقَ عليه وحاصرَه. كان يستطيع سماعَ أنفاسه، طرقاتِ نعلِ حذائه وخشخشةَ بنطاله، لكنّ الخارجيَّ البعيدَ كان مكتوماً، وأخرس.

عاجزاً عن الاحتمال أكثر، قرّرَ الرجوعَ إلى غرفته، فحثّ خطاهُ مسرعاً عبرَ زُقاق طويل انبثقَ كشعاعٍ مستقيمٍ بعدَ الحاجز. بضعةُ أمتارٍ وباغتَه ألمٌ حادٌ في بطنه. أحسّ بملوحة قطراتٍ انزلقتْ إلى زاويتي عينيه الصغيرتين وفمه، كان العرقُ يسيلُ من رأسه بغزارة. مسحَ وجهَهُ بكمِّ قميصه، وقد صارَ الإرهاقُ يُثقلُ جسدَه المتعرّق؛ أحسّ بأنّ أحمالاً هائلة تربضُ على كتفيّه. دلفَ إلى الميدان من الجهة الخلفيّة، فتوقّف وهو يلهثُ. ذعرٌ حقيقيٌّ أصبح الآن ينهشُ عزيمتَه: كان الميدانُ خالياً.

حاولَ الركضَ، فسقطَ أرضاً. لم يعدْ يقوى على الوقوف. راح يزحفُ إلى الغرفة وهو يجرُّ ساقيه المخدّرتين إلى أن بلغَها، وقد شارفَ الشفقُ على الانسحاب صوبَ الغرب، ليوطدَّ لليلٍ آخر هناك.

تسلّقَ السريرَ كمشلول، واستلقى متدثّراً بالشرشف القُطني. كانت أسنانُه تصطكُ وجسدُه يرتجف. كان وجهُه الغامقُ المصقولُ بالوَهَن ينظرُ إلى السقف وكأنّه حجرٌ صغيرٌ راقدٌ تحت السماء.

«أيـن البـاااب؟.. ضعـوا للغرفة باباً من حديدٍ وأوصدوه أرجوكم!»، صرخَ عالياً كمن تتقطّعُ أحشاؤه.

لم يردّ عليه أحد. كان الصمتُ القاطعُ وحدَه يُطبقُ على المكان.

كانت لحظاتِ الفجر الأولى عندما إستفاق. نظرَ إلى بطنه فرأى بقعةً حمراءَ صغيرةً تفشّتْ على سُترته. تنهّدَ بعُمق. كانت نسماتُ أواخر الشتاءِ الباردةِ تلفحُ وجهَه الشاحبَ وتُدمعِ عينيه. تذكّر ابنتَه الصغيرة. ضغطَ على أسنانه وهو يَزدَردُ ريقَهُ المرَّ، ثمّ أغمضَ عينيهَ غيرَ راغبٍ في التفكير في شيء.

محافظات القلب السورية

■ آية الأتاسي

مقطعة الأوصال ومرمية الأطراف.. ألملم أشلائي المبعثرة.. ولا استطيع أن ألصقها ولا أن ألتصق بها!

حمص

جزئي الأيسر قرب القلب.. حمص تأتيني مع صوت قريبتي المنكسر:

"حمص يا آية صارت كانتونات.. حمص الشرقية والغربية وبينهما جدار برلين الحمصي.. أصبحنا نلتقي ببعضنا البعض على الحواجز.. نلقي التحية بالعين لا باللسان، فقد تعطلت لغة الكلام وصارت الكلمات أشواك وصبار.. نعد الأحياء منا على الحاجز ونكمل الطريق.. لا ندري كم وجه منا سيعود غداً وكم وجه سيغيب؟

هل سنلتقي من جديد يا آية ونأكل حلاوة الجبن الحمصية مثل أيام زمان؟

انهار محل السواس الشهير بحلاوة الجبن.. ولكن الحماصنه ما زالوا يأكلون الحلاوة ويزدادون حلاوة رغم مرارة العيش وضنكه.. إنها الذهب الحمصي الأبيض.. لا تقلد ولا تزور.. أصبحنا نحملها عندما نعبر الحدود، حدود الداخل السوري لا حدود الخارج المستحيلة.. نمشي وبيدنا علبة الحلاوة الحمصيه.. نرميها على مكاتب الموظفين في طرطوس لتسيير المعاملات وقبض الرواتب، يتلعثم الموظف ثم يسيل لعابه.. يضحك على حمصيتنا ويقول: رشوة حمصيه.. صحن حلاوة، لا بد أن اليوم يوم أربعاء!..

يتناول لقمة.. اثنتين.. ثلاثة ثم يوقع كل المعاملات المؤجلة.. إنه تأثير السحر الحمصي!.

ليته يعرف معنى الحلاوة.. ليست رشوة بل هي فعل مقاومة.. نحن الحماصنة ما زلنا أحياء.. منرفض نحنا نموت قولي لهم لح نبقى.

وحتى لو بقيت الحمصية الأخيرة على هذه الأرض العدية؟ لن أغادر يا آية..".

دمشق

أتصل ببيت الجيران لأسأل عن بيتنا.. محاولة ملتوية للهروب من صوت أمي وحزنها الثقيل على قلبي:

"مازلنا هنا.. لا نملك مكاناً أخر للذهاب.. سنموت أو نحيا قرب ياسمينة الحديقة.. هل تذكريها يا آية كنت تسرقين ياسمينها وتخفيها تحت ثيابك.. كانت تفضحك رائحة الياسمين ولكنها تليق بك.. فتركنا الياسمينة تعربش على حائطكم وغمزنا لها أن لا تفشي لك السر.. الياسمينة ماتت يا آية.. لم تعد تزهر ولم تعد تتسلق الحائط بيننا.. بيننا صار مئة حاجز وحيط..

هل تتذكرين ألعاب أولاد الجيران في الحارة؟ لعبة "قفز الحواجز" أصبحنا نمارسها كل يوم.. تراقص الموت ونسجل هزائمه ونتحايل على انتصاراته في نعوات شهدائنا.. " الطميمة" لعبتك المفضلة يا آية نلعبها مع القناص في الحارة المجاورة.. واحد اثنين ثلاثة.. إذا وصلنا للعشرة يعني أننا ما زلنا نلعب ولم ينته العمر بعد.. ولكن كم يوم وكم عمر سيمهلنا الموت يا ابنة جارتنا البعيدة؟".

حلب

صديقتي تعيش كل الأزمات تحت القصف وبلا ماء ولا كهرباء.. أسألها عن الحال والأخبار؟

"وابل من المطر.. وابل من الرصاص.. هل الرصاصة المائية قاتلة؟.. هههههههه - أضحك يا صديقتي وأمد للأزمات لساني.. سوريه على مفترق طرق وأنا على مفترق عمر.. ينتصف بي العمر ولا أجد الوقت ولا الضوء لأحصي تجاعيدي المبكرة.. الخوف من المشيب في زمن الحرب رفاهية لا تحتملها قلوبنا المنهكة.. الحب رفاهية.. الخبز والغاز.. شم الهواء.. البقاء في الحياة.. كلها رفاهيات لشعب تحت الحصار!..

ابنتي الصغيرة، يا آية.. أصبحت صبية.. وجدنا بقع دم حمراء على الفراش.. وقلنا البنت بلغت ودخلت طور المراهقة.. لكن الدم عاد بعد يومين.. الدورة الشهرية لابنتي تحكمها القذيفة.. الرعب لا البلوغ جعل ابنتي تكبر سنه بل مئة سنة.. كيف ستشفى.. كيف سنشفى.. خبرني يا طير ولا تأبه للقذيفة!"..

حوران

صديقتي الافتراضية، الحورانية أخت الشهيد.. لا أعرفها إلا من خلال النافذة الزرقاء ولكنني أخاف عليها وأتفقدها قبل النوم.. مادامت النافذة مشرعة والضوء ساطع فهي بخير ودرعا بخير.. تكتب لي:

"سقطت مئذنة الجامع العمري.. المآذن تموت لكنها تبقى كالأشجار واقفة.. المئذنة كانت بوصلة أرواحنا.. على صوت الأذان والتكبير كانت تدور أيامنا.. اغتالوا المئذنة ولكنهم لم يغتالوا الروح.. درعا هي روح الثورة ومهدها.. درعا لا تموت.. ".

ينقطع الاتصال.. تغيب صديقتي.. ويضيء الضوء الأحمر بعد ساعات معلناً وصول رسالة جديدة من درعا..

"مرت الطائرة فوق رؤوسنا.. اختبأنا في الممر.. لم نعتد على الموت يا آية.. ما زلنا نرتجف عندما نسمع صوت القذائف والرصاص.. أبناء أخي الشهيد التصقوا بي.. تمددت فوقهم لأحميهم من الموت.. وعدتهم أنهم لن يموتوا، ثم بكيت لأنني كذبت عليهم من جديد.. كذبت عليهم أول مرة عندما أخبرتهم أن والدهم الشهيد سافر وسيعود.. ومن يومها لا يتوقفون عن سؤالي عن موعد عودته ولا أتوقف عن الكذب واختلاق الأعذار لغيابه". أسألها إن كانت نادمة على الثورة بعد كل شيء راح ومضى..

تكتب: الحزن كبير.. أبناء أخي صاروا يتامى.. أمي لا تتوقف عن الحديث مع أخي الشهيد.. تنتظره كل يوم وكأنه عائد من يوم عمل طويل. تترك له صحن على مائدة الطعام.. تطبخ أكلته المفضلة وتصبها فيه.. "منسف مليحي" لأخي الشهيد كل يوم جمعة.. يوم الجمعة أصابه القناص في قلبه.. ومن أجل أولاد أخي وأمي وكل أهالي الشهداء سنستمر.. من أجلهم ستكون سوريا أحلى.. أنتظرك في يوم جمعة يا آية عند ساحة العمري. لنحتفل معاً بالحرية ولنأكل من أجل روح أخي وكل الشهداء.. "منسف مليحي".

دير الزور

دير الزور المدينة المنسية.. في الخاصرة الشرقية البعيدة والقريبة جداً من القلب.. مدينه لم أزرها يوماً ولكنني أعشق لهجة أبنائها والألف التي تتصدر في تصريف الأفعال.. "أشتاق لك".. "أتذكرك".. "وما أنساك"..

نهر العاصي الذي يجري في حمص وحماة، اسمه في الدير "الفرات" وهو شريان الحياة الديرية ومحيطها الأخضر..

عمل بعنوان: سُبَات | للفنانة: Nivine Ibeche-Ni

الخاسر الأكبر

■ هالة النجاري

لا أهل لي هناك.. وحده صديق أبي ورفيق زنزانته يسكن هناك.. وكأن لحمص وللدير كيمياء خاصة.. الفرات والعاصي.. وشرايين حياة عصية على الموت.. الأنهار لا تصيبها رصاصة ولا قذيفة!..

الفرات يوزع مياهه على أبنائه بالتساوي.. ولكنها مياه لا تصلح للشرب ولا يمتلك الديريون غاز ولا أخشاب لتسخينها.. خشب أشجارهم احترق ليدفئ لياليهم الباردة.. أجسادهم أنهكها الحصار.. فقر دم.. التهاب.. تفوئيد وحبة حلب (لشمانيا).. أمراض جماعية تصيب شعوب الحروب بالتساوي وبالجملة..

"ابنة الفرات" هذا كل ما أعرفه عنها.. أتابع ما تكتبه، تضعه في زجاجة وترسله على موجه فراتية.. رسالتها لهذا الصباح:

"ابني الصغير ذو الست سنين.. صار خبير أسلحة.. يميز نوع القذيفة والطائرة وجهة المدفع.. يرمي رأسه في صدري ويعد القذائف.. تتلاصق أجسادنا، نحن سكان البناء الواحد في الملجأ كما لو كنا في قبر جماعي.. ابن جيراننا الصغير أصابه قناص وهو على دراجته الهوائية.. الدراجة بقيت سليمة ولكن الصغير فقد نصف معدته.. نصف معده وشوربة كل يوم، صحن الشوربة الذي كان يمقته صار على ابن الإثنا عشر ربيعا أن يشربه كل يوم!.

أمه الصيدلانية الشابة متماسكة وقوية.. أحسدها وهي توزع علينا الأمل وتبتسم.. من أين تأتي بهذه القوة والتوازن في زمن الاضطراب والسقوط والعدم؟.. تحضر ماء الفرات المغلي وتوزعه مع ابتسامة الأمل علينا.. حصتها هي الأخيرة ولكنها تبلع حبه مع الماء وتتابع الابتسام في وجوهنا.. في سلة المهملات أرى علبة حبوب مهدئة فارغة!"

مياه الفرات وحدها لم تعد تروي الأرواح المتعبة..

غربتي وأمي

بعيده لا تصيبني القذيفة.. ولكن جسدي ممتلئ بخدوشها.. وكأنني أعيش حياة مزدوجة، كأنني مسكونة بروحين.. روح هنا وروح هناك تقارع الموت وتختبئ من القذائف..

قلبي ممزق بين الهنا والهناك.. أدخل حجرة الحلم المشددة.. يمر وجه أمي.. أصغي لأمي تهمس لي شيئا في أذني:

"مريضه أنا يا آية.. مرضي لا يفهمه الأطباء.. ليست سيجارتي التي أدخنها منذ خمسين عاما.. ليس السكر.. ولا الغدة.. أنا مريضه بالشوق.. أنا لا أعرف أرضا إلا سوريا ولا أشم هواء إلا هوائها.. أنا مريضة بالغربة.. والغربة تقتل امرأة مسنة"

أصحو مذعورة من النوم.. أمسح دمعه على خدي.. أفتح كتاب تفسير الأحلام وأقرأ:

"الموت في الحلم هو ولادة جديدة"..

أنظر للسماء.. القمر بدر.. يشبه القمر الذي كانت أمي تراه وتقول لي: رأيت القمر على وجهك.. اضمري شيئا وسيتحقق يا آية!..

أتذكر وجه أمي في الحلم.. أنظر للقمر.. وأضمر الحرية لأمي.. أمي سوريا.. وسوريا أمي!..

تداعيات الثورة:

لا أعلم ما علينا القيام به لتمجيد ثورتنا التي دفعت وما تزال تدفع الكثير لأجل حرية أبنائها، ولكن كل ما أعلمه الآن أننا قد ظلمناها بما يكفي لها لأن ترفض أن تسامحنا..

أرضا العزيزة أكتب إليك كلماتي وأسرد لكِ ما يجول في خاطري من حزنٍ وألم.

أكتب لكِ يا أرضاً ثرنا بجوفها لنزدهر بها ونهنى على حكماً طاغياً سرقك على مدى أكثر من أربعين عاما، لكننا لم نكن نعلم أن توغله بالأرض أصبح قوياً جداً.

أرسل لكِ وثيقة تنص على حبنا لكِ وبعدنا عما يحدث الآن بكِ، فنحن من بدأ بثورةٍ نظيفةٍ وجميلةٍ من روح الإنسان وحُولت بأيديهم إلى ثروةٍ كبيرةٍ بروح شيطان.

سرقة وحُكم:

تم تحرير الرقة بيوم واحد على الرغم من بعدها عن الثورة وانتشار لكتائب جبهة النصرة بشكل واضح وواسع وهنا نرسم الآلاف من أشارات الاستفهام التي تُرسم في هذا التحرير فقد حاولت عدة مدن الحصول على كلمة مدينة محررة بقتال دامَ أشهراً وأشهر ولم تتمكن من ذلك، بينما في عدة أيام تمتلك جبهة النصرة هذا الاسم واللقب الكبير وكأنه هديةً قدمها النظام على طبق من ذهب.

حلب.. ويا وجعي ويا دموعي على مدينة الحضارة والتراث والاقتصاد فما فعلوه بها لا يحتمل التصور والخيال، فلم تعد هناك إلا كتائب قليلة من الجيش الحر التي مازالت تعمل بشكل جيد وصحيح وضمن مسار الثورة التي بدأنا بها وأما باقي المناطق فهي إما تابعة للنظام ومليئة بالأمن والاعتقالات أو محررة تعاني من السرقات. وأصبحت كلمة تحرير تتحول إلى تشويل كما يقول المصطلح المتعارف به هناك والذي يقوم على أساس أن تقول (اللّه اكبر) على ما يحلو لك وتأخذه فيكون لك حلالاً بحلال، وأصبحت هذه المناطق الآن تحكم من قبل المحكمة الشريعة والتي تعد نظام جديد يعمل على أسس النظام القديم ويمحي حرية رأي الآخر ويفرض العقوبات التي تنفذ على أسس الشريعة الإسلامية وتلغي الوجه الآخر للطوائف المتعددة في سوريا، وقد تم بعونه تعالى القضاء على نظام الأسد ورسم النظام الآخر والجدير بالذكر أنها سياسة مرفوضة من قبل الناشطين الذين هتفوا لثورة وحرية وتعرضهم عند رفض الفكرة إلى الاعتقال أيضا والتعذيب والقتل في بعض الأحيان، وهنا قسمت حلب إلى حكمين أو ثلاث أو أربع إلى عشر.

حمص.. حاصر حصارك لا مفرُ، تماماً يا درويش فلم يعد لهم هناك مفرٌ من الحصار الخانق الذي تعانيه المدينة وتمنع من التنفس وتتعرض لجميع أنواع القصف بما يشمل به مناطق سكنية كاملة حتى تلك التي لم تلفظ أنفاس الحرية إلا خلسة.

حماه.. لم يعد هناك إلا روح الشهيد القاشوش تطير بحرية في سمائها بعد أن تغيبت بشكل واضح عن صراع الثورة وأصبحت شوارع المدينة هادئة نسبياً والحياة عادت إلى شكلها ولكنه مازال غير طبيعي ويمكن القول هنا أو التمني أن تكون حماه في فترة الهدوء ما قبل العاصفة.

إدلب.. حالها حال أغلب المدن السورية التي تحتوي الوجهان للنظام والأحرار مع عدة محاولات لدخول التطرف إليها والفشل بعد ذلك لأن حلب أصبحت العاصمة لهذا التطرف ومقر لجبهة النصرة.

دير الزور.. المدينة التي هُمشت إعلامياً وإغاثياً، فقد عرف عن هذه المدينة أنها من أول من دخل في هتاف الثورة وشاركت بكل النشاطات وعانت من حصار دام في سنة 2012 لأربعين يوماً لم يستطع به سكانها الحصول على رغيف خبز واعتنقت الجوع الشديد عاشقاً لها لم يخلصها من ذلك حينها إلا النهر الذي تساعدوا به لنقل الطعام بين ضفتيه، وإلى الآن تعتبر المدينة المنسية إلى حد ما في نطاق الثورة وما تزال تُقسم بنهرها إلى قسمين بين محرر ومحتل وتجري الاشتباكات والقصف حتى اللحظة لتحرير ما تبقى منها وإن أردنا أن نزين هذه المدينة علينا أن ننطق بكلمةٍ واحدةٍ وهي (المو حسن).

دمشق.. خوفنا جميعاً عليكِ يا شام وليس سعينا إلى التحرير على الرغم من وجود هذه الخطة والمحاولة لإرسال كتائب من الجبهة إلى مناطق الغوطة الشرقية وعربين لتلبية نداء الجهاد إلا أنه أخر بعون اللّه بسبب ظروف صعوبات النقل والطرقات من شمال سوريا إلى جنوبها، وإن كان هذا الأمر هو حل بعيد المدى ولكن إنني أتكلم عما يدور في خاطر الجميع. ومازالت دمشق تتنفس حتى أخر أنفاس الحياة ومازال العمل بها قائماً مع الأوضاع الاقتصادية التي تتدهور من أسعار الغلاء والفقدان وغيرها ويتزامن ذلك الذي ذكر مع أصوات القصف والقذائف والطيران لتكون المدينة التي ستدخل في خضم التحرير إلى أطلال مدمرة لن يتوقف النظام ولن يُمنع عن محي آثارها كما أعتاد في كل المدن السابقة، وهنا يتمثل خوف الدمشقيين من المفر ويدور السؤال الذي لطالما قلقنا منه.. الأردن أم لبنان؟ أم الموت بعيداً عن المذلة والصعوبات التي ستمنعهم من النزوح من المعابر التي مازالت بأيدي النظام.

درعا.. تلك التي ستبقى شعلة الثورة ولن تبتعد عن عشقها للحرية.

ولن أكمل في ذكر ما تبقى من المدن يا وطني لأنها أخذت من حصص الغاشم بالقتل والدمار نصيب.

جلسة صدق:

أنا الموقع أدناه أعلن أنني خرجت لحرية إخوتي وأخواتي وأرضي وليس لتقييدي بآرآء غيري وتنفيذ أحكامهم التي تمنعني من الاستمرار.

أنا الموقع أدناه أعلن رفضي لكل ما يحدث من تطرف يقصي الآخرين من كل الطوائف.

أنا الموقع أدناه أعلن عشقي لثورتي وأرضي.

أنا الموقع أدناه أعلن أنني سأستمر رغم ما تفعلوه.

أنا الموقع أدناه.. الخاسر الأكبر.

ملف من الأفعال الإنسانية لكتائب المعارضة المسلحة (1)

■ إعداد: أيهم داغستاني | تحرير: علاء رشيدي

فكـرة الملـف:

- ظهر هذا الملف كفكرة المتدربين المشـاركين في دورة (سـمارت 2)، لشـهر آذار / نيسـان، 2013. ينشـر هذا الملف بالتزامن، والتعاون بين جريدة «سوريتنا»، ومجلة «حنطة»، وصحيفة «الجسر».
- اتفق فريق الإنتاج الصحفي على فكرة تحاول ما أمكنها الإضاءة على الجانب الإنساني من الصراع الأهلي الذي تمر به البلاد في الوقت الحالي. وهذه الملف من ثلاث مواد صحفية، هي: الشهادة الذاتية، اللقاء، وشهادة واقعية.
- إن عـدد الجرحـى والقتلـى يصورنا مجرمين، للآخر، وحتى لأنفسـنا. وحاولت فكـرة الملف الإضاءة على أفعال إنسـانية لا يمكن للمجتمع أن يستمر بالعيش، دونها.
- قد تنسـى هذه اللحظات الإنسـانية في إطار اعلام الخبر والنزاعات، فينسـى هذا المجتمع، تكافله، ويحتفظ بذاكرة الكراهية. ها هما ملفان يحاولان أن يتحدثا إلى الناس، بأن البعض يساعد صديقه السوري الآخر.

النص الأول: شهادة ذاتية

الموضوع: قصة عشتها في الإغاثة

نص بعنوان: (إنقاذ طفل ميت)

عندما وقع الانفجار الأول، في 9 \ 10 \ 2012، في قرية ديرفول في ريف حمص، رفعت رأسي دون أدري حقيقـة ما جـرى. لم أكد أصحو مـن ذهولي حتى وقع الانفجـار الثانـي. هرعت من غرفتـي أبحث عن غرفة آمنة يلوذ بها أفراد أسرتي. ليباغتني انفجار ثالث.

على وقع الانفجارات، تذكّـرت أنه اليوم الخامس لافتتاح المدرسة الإعدادية بعد إغلاقها لأكثر من سنة، والتي تجمـع فيها الطلاب الصغار من القرى المجاورة. ركضـت نحوهم بـلا وعـي، دون أني نصف عـارٍ. لم تستطع قدماي حينها، التوقف عن الجري.

وصلـت، ورأيت الطـلاب هناك، تدفعهـم أصوات الانفجارات لحالة مـن الهلع والذعر. وسمعت أصوات القذيفة الرابعة.

وصـل عناصر كتيبة مسـلحة، بعد أن سـيطرت حالة من الفوضى والارتباك لدى الجميع.

نظرت إلى المنشق عن الجيش النظامي(نضال)، وهـو يرتدي زيّه العسـكري المعتاد الذي لـم يغيّره منـذ أعلـن انشـقاقه. كان يحـاول أن يجمـع الأطفـال ويهدئهـم، دون أن يحركهـم مـن أماكنهـم. أنصت الطـلاب إلـى إرشـاداته، وشـعور الخـوف عليهـم لا يفارقنـي، وجدت نفسي أجمع الطلاب مع (نضال).

مضـت دقائق دون أن تسـقط قذيفـة جديـدة. فأصبحـت الفرصة سانحة لنقل الطلاب إلى مكان أكثر أمناً. راح مقاتلو الكتيبة المسـلحون يوزعـون الطـلاب علـى مجموعات صغيرة فيمـا بينهم، ليرافقوها إلى الملجأ.

وخرجـوا فـي مهمـة إيصـال الطـلاب إلـى الملجـأ، تحـت صـوت طائـرة الاسـتطلاع، وهي تدوّي كأزيـز النحل الهائج. لكـن لا خوف على أطفال الإعدادية فهم في مأمن من القذائف بعد وصولهم إلى الملجأ. ثم سقطت القذيفة الخامسة فوق منزل طينيّ قديم.

تصاعـدت أعمدة الغبـار في المـكان القريب من روضة الأطفال. ركض (نضال) وهو يصرخ: (الروضة، أي الأمكنـة الروضـة؟)، ورحت أنا أركـض خلفه. حين وصلنا إلى باب الروضة، دوى صوت الانفجار السادس. رأينـا بعض الشـظايا ولـم نسـمع إلا بـكاء الأطفال الصغار. فصاح مشـارك في العمليـة، (عبد الرحمن)،: (حدا صايرلو شي؟) وأوقف صياحه صوت قذيفة سابعة وقعت عند الروضة تماماً.

وفجأة، عاد الهدوء والسـكون، وابتعد هدير خلية النحل لطائرة الاسـتطلاع. بدأنا حينها نتفقد المنازل. اكتشفنا أن موجة القذائف كانت قد غطت حيّ (الحارة الغربية)بأكملـه. أغلـب المنـازل خلـت من السـكان. سـمعنا، من آخر الحـي صراخاً. ولمحنـا تجمع لبعض سـكان الحي، فأسـرعنا باتجاههم. كـرروا بأن قذيفة دخلت على أحد المنازل.

دخلنـا أنـا وعبـد الرحمـن المنـزل المصـاب من البـاب الخلفي. كانـت الصدمة المؤلمـة، فقد امتزجت دمـاء امرأة وأطفال بحجارة البيـت المهدمة. صاح(عبد الرحمن) في وجهي: (هدول، ما بينقذو حالن بحالهون، يلا شـيل معـي)، فحملت أحـد الأطفال إلى السـيارة، لعلّي أنقذ ما بقي فيه من رمق.

ولكن عبثاً، فكل مـن يرى وجوههم يدرك بأنهم فارقوا الحياة. مـع ذلك، أصر(عبد الرحمن ونضال)، إلّا أن ينقلو الأشـلاء إلى المستشـفى، أمـلاً بإنقاذ طفل سوري من الموت.

youtube.com/watch?v=kAYWHO9X4zY

فيديو عن المجزرة المذكورة في هذه القصة.

صورة للفنان (عامر فهد)، المصدر صفحة الفنان على الفيسبوك

النص الثاني: مقابلة

الموضوع: لقاء مع مسلح يعمل في المجال الإغاثي
لقاء مع المسؤول التقني في كتيبة صقور القفقاس

الشاب محمود بدر خان، يقول:

- لأن في مساعدة المدنيين، ورؤية الفرح في أعينهم ترتفع معنويات المقاتل.
- شعورٌ لا يوصف عندما تصرخ عجوز تصرخ بأعلى صوتها: (منصورين يا ولادي).

الشاب محمود بدر خان في سطور: ولد في ريف حمص الشمالي، ودرس في جامعة دمشق كلية الإعلام. ثم التحق في الجيش العربي السوري، وتم تسريحه في سنة 2011، فانخرط في الحراك الشعبي السوري.

في الحديث عن الأعمال الإغاثية التي شارك فيها قال:

(عملت في المجال الطبي في بداية الأمر والقيام بنقلها من دمشق إلى المناطق الساخنة في حمص، مع المساعدة في تجهيز بعض المستشفيات الميدانية داخل مدينة حمص)

وتابع في حديثة عن طريقة القيام بالأعمال الإغاثية:

(إن اغلب الأعمال الإغاثة تتمحور حول نقل الجرحى والمصابين من المدنين والمقاتلين إلى المستشفيات أو استقبالهم في نقطة الإسعاف المتواجدة ضمن الكتيبة. أما باقي الأعمال الإغاثية، تكون على شكل تأمين الطرقات وحماية المنقولات، مثل الطحين والمحروقات وبعض أنواع الأغذية.

مع مراعاة المدنين في المنطقة الجغرافية المغطاة من قبل الكتيبة والنظر في احتياجاتهم وتلبيتها قدر المستطاع)

وقد تكلم معنا عن ابرز المشاريع الإغاثية التي قامت الكتيبة بتبنيها والمساهمة فيها:

(كتأمين كمية من الطحين ونقلها وتوزيعها على الأفران في المنطقة والتأكد من عدم احتكار الطحين من قبل الأفران، وتأمين بعض الصهاريج من وقود التدفئة والتأكد من توزيعها بشكل عادل على المنازل، ومن أهم المشاريع إعادة فتح المدرسة الإعدادية واستقبال الطلاب من كل المنطقة والتأكد من سلامتهم والحفاظ على أمنهم من كل أشكال الإرهاب)

أكد لنا (محمود) عن النقص الشديد في الدعم الإغاثي بقوله:

(إن اغلب الدعم المتوفر لتغطية العمل العسكري لان العمل الإغاثي متطلب ويبقى في ازدياد ولا يقف عند حد من الحدود، مع ذلك لا يخلو الأمر من بعض الداعمين لكن بشكل بسيط ولا يغطي من هم بحاجة إلى معونة بشكل متوسط على الأقل)

من ضمن الحديث تطرقنا إلى لحظة قد يعيشها أي مقاتل مسلح في حرب المدن السورية، وهي لحظة الاختيار الحساسة في حال سقوط جريح، بين الاستمرار في القتال أو مساعدته، فأجاب:

(في حال مروري في مثل هذه المواجه اختار مساعدة الجريح لان الأولوية لإنقاذ الأرواح وليس لإزهاقها، وهذه هي الطبيعة البشرية وطبيعة الشعب السوري والأوامر من قادة الكتائب تكون واضحة وصارمة في مثل هذه الحالات: (لا تتركوا أخا لكم قد جرح أو كان في حاجتكم).

وهنا قد وصلنا إلى نهاية اللقاء بسؤال أخير عن الفوائد التي تجنيها الكتيبة من القيام بالأعمال الإغاثة، فكان الجواب كالتالي:

(أنا كمقاتل في هذه الكتيبة وبشكل عام يكون لي الفائدة الكبرى في مساعدة المدنين، لان في مساعدتهم ورؤية الفرح في أعينهم ترتفع معنويات المقاتل، وانه شعور لا يوصف عندما اسمع طفلا يهتف (اللّه محي الجيش الحر)، أو عجوزاً تصرخ بأعلى صوتها: (منصورين يا ولادي).

صورة للمسؤول التقني في كتيبة صقور القفقاس، محمد بدرخان بتاريخ 01 / 04 / 2013. خاص للملف.

النص الثالث: شهادة واقعية

الموضوع: شهادة مدنيين مستفيدين من مساعدات مسلحين
نص بعنوان: أم عباس تقول: (كل وجوههم، وجه عباس)

كنا في جولة في المخيمات المتواجدة بريف إدلب، ووقفت عند أم عباس والدة لأحد عشر طفلاً تتراوح أعمارهم من السادسة من العمر إلى الثالثة والعشرين من العمر. بدأت تحدثني عن قصتها التي بدأت في 12 - 10 - 2012.

نص الشهادة:

كنا في منزلنا في بلدة الهبيط. في ساعات الصباح الأولى، حين بدأ القصف على البلدة. بدأت معاناتي تتجلى أمامي، لأني لا استطيع الخروج، فأطفالي الأربعة الذين ما يزالون يعيشون معي، معاقين. أما ابني الأكبر (عباس)، فهو مرابط على جبهة، لا أعرف مكانها. لم أر (عباس) منذ مدة، ولا أعرف أين ذهب.

كيف أحمي أطفالي المعاقين وحدي تحت القصف؟ خرجت إلى باب المنزل وأنا أصيح. فأتاني نحوي شاب يرتدي عتاده العسكري الكامل، وبشريطه بيضاء على رأسه سألني: (شو لازمك يا أمي؟).

لم أخف منه، فقد رأيت في عينيه (عباس). لم أتردد في طلب المساعدة منه. طلبت منه الدخول إلى المنزل. حين نظر إلى الأطفال، ودون أن يتفوه بكلمة واحدة، وخرج من المنزل راكضا، وكأنه لن يعود.

انهرت كلياً، تربعت على الأرض، أشكو ويلي الأطفال، وويلي عباس وويلي المنزل.

لحظات وسمعت أصوات، رأيت عند الباب الشاب نفسه صاحب الشريطة البيضاء، قد عاد ومعه رفاقه. كانوا يرتدون لباساً موحداً، وفي وجوههم نور يشع، كلهم عباس..

نقلوا الصغار أطفالي الأربعة المعاقين إلى السيارة، وقلت: (لهم سوف أجمع بعض الحاجيات)، ابتسم أحدهم وهو يقول: (كل شيء مؤمن).

ثم نقلوني أنا وصغاري إلى مخيم في قرية (عقربات) في ريف إدلب. ومن ذلك اليوم وأنا في المخيم لا ينقصني شيء. كل يوم أرى عباس.. يطمئن على صحتي أنا والصغار، لكن عباس كل يوم يرتدي وجهاً جديداً.

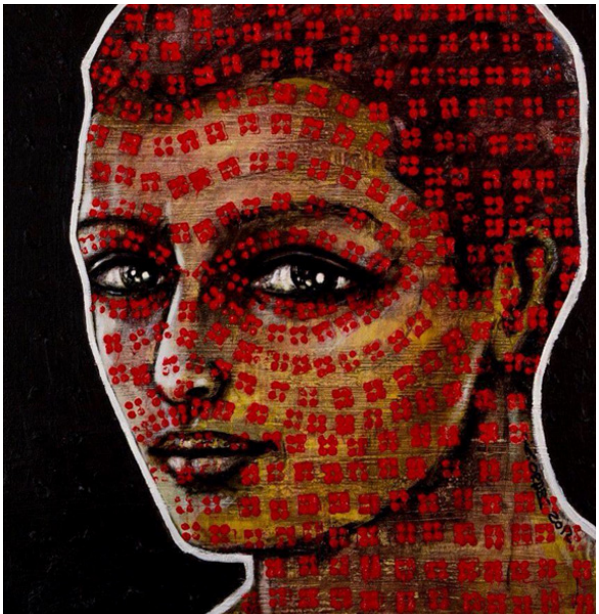

لوحة للفنان (محمد عرابي)، المصدر: صفحة الفنان على الفيسبوك.

تخليداً لذكرى الشهيد ملهم الطريفي
لقاء مع فريق ملهم التطوعي

■ أجرت الحوار: مريم أسعد

يتكون الفريق من مجموعة من شباب الثورة الذين اضطروا للهرب خارج سوريا تحت وطأة الملاحقة الأمنية وخوفاً من الاعتقال التعسفي. وما أن استقروا خارج الوطن وأصبحوا لاجئين لم يستطيعوا العيش من دون خدمة الثورة، وبجهود فردية بسيطة شكلوا فريقاً تطوعياً لإغاثة اللاجئين السوريين وقاموا بتسميته "فريق ملهم التطوعي" تيمناً باسم صديقهم الشهيد ملهم الطريفي.

والشهيد البطل ملهم الطريفي هو شاب من مواليد مدينة جبلة الأبية عمره 24 عاماً تخرج من إدارة الأعمال، شارك في الثورة منذ بدايتها وكان من منظمي المظاهرات الأولى في جبلة، اعتقل بتاريخ 14 / 5 / 2011 من قبل فرع الأمن العسكري في اللاذقية ومن ثم تم تحويله إلى فرع المخابرات العامة في دمشق حيث بقي 11 يوماً في المنفردة وتم تعذيبه بشتى وأقسى أنواع التعذيب والإجرام ولفقت له تهمة بأنه المسؤول الإعلامي للإمارة السلفية، كان شاهداً على العديد من حالات التعذيب وخصوصاً المجندين المنشقين والمتخلفين عن الجيش حتى أفرج عنه بتاريخ 4 / 6 / 2011 وخرج بعدها من سورية إلى الأردن ومن ثم إلى السعودية تحت إصرار عائلته وكان من ناشطي الإغاثة في الخارج. وعندما بدأ الجيش الحر بالتوسع والانتشار عاد إلى سورية وانتسب للجيش الحر وتحديداً إلى كتيبة الشهيد عز الدين القسام (جبلة الأدهمية) واستشهد في بلدة سلمى التابعة لمنطقة الحفة خلال اشتباك مع قوات الأسد بتاريخ 11 / 6 / 2012.

بعد أربعة أشهر تقريباً من حادثة استشهاد ملهم الطريفي تم تأسيس الفريق التطوعي من قبل مجموعة شباب من طلاب جامعة فيلادلفيا في عمان. كانوا حوالي 10 شبان واقترح عاطف نعنوع ابن جبلة وصديق ملهم أن تتم تسمية الفريق باسم الشهيد.

توسع عدد أعضاء الفريق تدريجياً ليصل إلى 40 شخصاً مع ازدياد نشاط الفريق وتوسع نطاق عمله الإغاثي ليشمل أسواق ملابس مجانية للاجئين في كل من المدن الأردنية جرش - عجلون - الكرك، وتوزيع الطرود الغذائية، ثم تم إطلاق حملة "خيرك دفى" مع بداية شتاء الأردن القارص وتحديداً العاصفة الثلجية حيث كان أعضاء الفريق يعملون ليلاً نهاراً في توزيع البطانيات والمدافئ، بالإضافة لتوزيع معونات مادية وملابس وبطانيات داخل مخيم الزعتري كما قاموا بكفالة العديد من العائلات السورية بشكل كامل بما يخص إيجار البيوت والمصاريف الشهرية وذلك بالإضافة إلى كفالة العمليات الجراحية في المشافي الأردنية.

التقت سوريتنا عدداً من أعضاء فريق ملهم التطوعي وكان لها معهم الحوار التالي:

| فريق ملهم التطوعي، نعلم أنه تكريم لروح الشهيد ملهم طريفي، هل لكم أن تحدثونا عن بداية تأسيس الفريق وأين تأسس وكيف؟

| | فريق ملهم، أولاً سنتحدث لماذا اسم "ملهم". ملهم هو ذلك الإنسان الذي عشق الثورة قبل أن تبدأ، فكان ينتظرها على أحر من الجمر. عندما بدأت الثورة كان من أوائل الناشطين فيها، وهو ابن مدينة جبلة الأدهمية التي فزعت لدرعا وجارتها بانياس، فبعد أسبوع من الثورة حاصر جيش النظام مدينة بانياس، فما كان من ملهم إلا أن وضع سيارته في ساحة الحرية وطلب من المتظاهرين أن يملؤوها بالطعام وحليب الأطفال ليذهب بها بعد ذلك إلى بانياس متحدياً حواجز النظام المجرم، فكان من أوائل من عملوا بالمجال الإغاثي في ثورة الكرامة، بعد ذلك تم اعتقال ملهم مرتين متتاليتين في شهر واحد، وتم تحويله إلى فرع المخابرات العامة في دمشق ليلقى هناك تعذيباً قاسياً مثل الكثيرين غيره من المعتقلين. خرج ملهم من السجن وهرب إلى السعودية ليشارك إخوته السوريين هناك عملهم في تنسيقية المغتربين، وبقي هناك عدة أشهر، قرر بعدها الالتحاق بالجيش الحر في ريف إدلب. ساهم مع أبناء مدينته هناك بتأسيس كتيبة الشهيد عز الدين القسام وبعد أقل من شهرين وفي عملية تحرير سلمى في ريف اللاذقية استشهد ملهم ليكون أول شهيد تقدمه كتيبة عز الدين القسام.

قبل أن نباشر بالعمل التطوعي في الأردن قررنا أن نشكل فريقاً تطوعياً يعمل على تنظيم كرنفالات للأطفال السوريين اللاجئين. اقترح أحد الأعضاء تسمية الفريق باسم ملهم، فلم يعارض أحد وخصوصاً بعد أن سمعوا قصة ملهم الشهيد الذي ضحى بحياته لأجل حرية وطننا الغالي.

تأسس الفريق بتاريخ 20 / 10 / 2012 ولاقى ترحيباً كبيراً من أصدقاء ملهم وأقاربه فسارعوا للتبرع ومدوا يد العون لنا لننطلق في أول فعالياتنا الفريق والتي كانت عبارة عن كرنفالين للأطفال في السادس والعشرين والسابع والعشرين من الشهر نفسه في مدينة عمان.

| كم هو عدد أعضاء الفريق، وأين هو نطاق عملكم الجغرافي، وما هي نوعية المساعدات التي تقدمونها للاجئين؟

| | بدأ الفريق عمله ب 10 أعضاء من طلاب جامعة فيلادلفيا في الأردن. ويبلغ عدد المتطوعين الدائمين في الفريق الآن حوالي 40 متطوع ومتطوعة.

بالنسبة لنطاق علمنا الجغرافي فالفريق متواجد في الأردن وتركيا وفي الشمال السوري المحرر.

أما عن نوعية المساعدات التي نقدمها فهي متنوعة وتشمل الدعم النفسي للأطفال عن طريق سلسلة كرنفالات الأمل بالإضافة لكفالة عائلات الشهداء وتحمل كافة المصاريف اللازمة لهم، كما يقوم الفريق بحملات مختلفة في مناسبات معينة، مثل حملة "خيرك دفا" لتوزيع الملابس الشتوية والحرامات والصوبيات على اللاجئين وحملة الطرود الغذائية. ذلك بالإضافة لتكفلنا بإيجارات المنازل للعائلات المهددة بالطرد من منازلها. كما نقوم بتأمين الفرش للاجئين القادمين حديثاً، وتأمين الحليب والفوط الخاصة للأطفال.

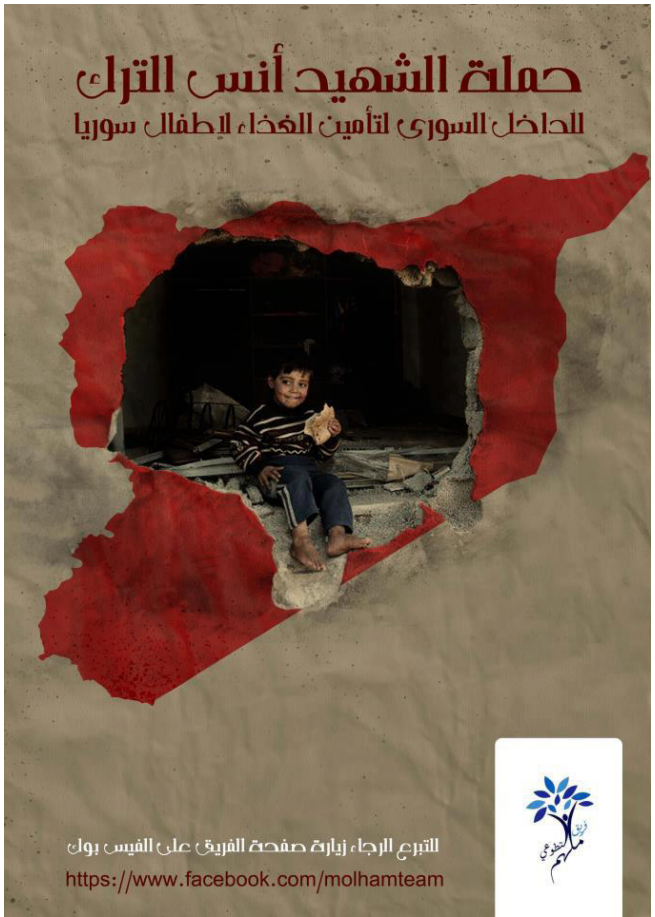

من مهرجان الأطفال في مخيم الزعتري

وهناك حملات تنظم بشكل متكرر في مخيم الزعتري لتوزيع الأدوية وتأمين حاجات اللاجئين المختلفة هناك.

| علمت أن بداية عملكم كانت محصورة بالدعم النفسي للأطفال اللاجئين، من خلال كرنفالات في الأردن، كيف تغير عملكم إلى مجال الإغاثة؟ ولماذا لم تستمروا في هذا المجال؟

| | ذلك صحيح ومازال علمنا مستمراً في تقديم الدعم النفسي، وآخر فعالية لنا كانت بمناسبة الذكرى الثانية للثورة وهي كرنفال الأمل 6 لحوالي 1500 طفل في مخيم الزعتري.

انتقلنا إلى العمل التطوعي لأننا رأينا بأن واجبنا القيام بذلك، فالعائلات السورية في الأردن وضعها صعب جداً وبحاجة إلى شباب مثلنا كي نزورهم ونرسم الابتسامة على وجوههم ونخفف من أوجاعهم بالإضافة إلى أننا نعمل على تأمين احتياجاتهم قدر المستطاع.

| قرأنا في الإعلام كثيراً عن حملات قمتم بها مثل (خيرك دفى، حملة دعم اللاجئين على الحدود التركية، والدعم لسوريين في الداخل أيضاً..) هل تحدثونا عن هذه الحملات، وما هي معايير قيامكم بها؟

| | حملة خيرك دفا عبارة عن سلسلة من الحملات قمنا بها في الأردن وفي الداخل السوري، قمنا عبر هذه الحملة بتوزيع الحرامات والصوبيات والملابس الشتوية على اللاجئين لتقيهم من برد الشتاء، واشتملت حملة خيرك دفا على أسواق خيرية قمنا بتنظيمها لتوزيع الملابس، وفكرة السوق الخيري هي أن نجمع كمية كبيرة من الملابس ونفرزها ثم نقوم باختيار مدينة نرى فيها حاجة السوريين للملابس الشتوية ونفتتح بها سوقاً لمدة يوم واحد يتم من خلاله توزيع الملابس مجاناً عليهم، ومن هذه الأسواق السوق الخيري في جرش وعجلون والكرك.

أما بالنسبة لحملات الداخل السوري نظمنا حملة "خيرك دفا 5" التي استهدفنا فيها أحد المخيمات داخل الأراضي السورية ووزعنا على قاطني المخيم كمية من الحرامات وحليب وفوط الأطفال.

كما شاركنا مع عدة جهات إغاثية في قافلة الشهيد ملهم الطريفي بمناسبة الذكرى الثانية للثورة والتي استهدفت ريف إدلب المحرر وتم فيها توزيع حوالي 1800 طرد غذائي على 1800 عائلة سورية هناك.

| هل مصادر تمويلكم هي من سوريين فقط؟ وهل هي جمعيات أم أفراد؟ وهل يأتيكم تمويل من جهات رسمية سورية (المجلس الوطني، الإئتلاف، منظمات دولية)؟

| | لا، الحمد لله التمويل من أشخاص جنسياتهم مختلفة وليس فقط سوريين، وهم أفراد متعاطفون مع الثورة السورية لأبعد الحدود وخاصة الفلسطينيين والأردنيين، أما بالنسبة للدعم من الجهات السورية الرسمية فللأسف لم نتلقى حتى الآن أي شيء منهم.

| هل يكفي هذا التمويل لكل ما تقومون به؟

| | بصراحة إن أكثر ما يميز فريقنا هو أن جميع أعضاءه طلاب جامعات ولدينا حماس ورغبة شديدة في العمل والعطاء. نقوم بإيصال جميع المبالغ التي نتلقاها إلى العائلات المحتاجة أو ننظم بها حملات إغاثية. عملنا بحاجة إلى تمويل مستمر، وكلما زاد التمويل زاد عملنا، فالفريق مستعد للعمل لمدة 24 ساعة يومياً لمساعدة أهلنا.

| كيف ترون تجاوب الناس معكم من خلال صفحتكم على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك أو تواصلكم الشخصي معهم، هل يتعاطفون معكم كأصدقاء؟ أم مع الحالة السورية عموماً؟

| | لا يخلو الأمر من تعاطف الأصدقاء أكثر من غيرهم بالنظر إلى معرفتهم الشخصية وثقتهم العمياء بنا، ولكن الثقة التي حظينا بها على صفحتنا على الفيسبوك كبيرة جداً وأصبح الناس يتجاوبون معنا بسرعة كبيرة، فعندما نقوم بنشر حالة عن عائلة بحاجة للمساعدة نرى الرسائل تتدفق إلى الصفحة رغبة من الناس والأصدقاء في المساعدة.

| ما هي علاقتكم مع بقية الجمعيات والمجموعات التي تعمل في الإغاثة، سواء داخل الأردن أو خارجها، وكيف هو مستوى التنسيق فيما بينكم؟

| | نحن دائماً مستعدون للعمل والتعاون مع أية منظمة أو جمعية في العالم لمساعدة أهلنا، التنسيق بيننا وبين الجمعيات موجود بصورة دائمة، فنحن نتعاون مع جمعيات عديدة منها مجموعة "هذه حياتي" ومجموعة "عهد سوريا" ومؤسسة "خير" في الأردن ومؤسسة "سوريا الخير" في تركيا وسوريا.

| كيف ترون احتياجات اللاجئين في مناطق عملكم مع بداية فصل الصيف؟

| | اللاجئون السوريون بحاجة إلى كل مستلزمات الحياة هنا وخاصة عندما نعلم بأن أعداداً ضخمة منهم تتدفق يومياً إلى الأردن. سنعمل بإذن الله على تأمين المراوح لعدد من العائلات في الفترة القادمة إضافة إلى الملابس الصيفية.

| نلاحظ اهتماماً أكبر بموضوع التعليم للأطفال، وتأمين الكتب وغيرها من المستلزمات لهم، هل بدأتم العمل في هذا المجال؟

| | بصراحة هذا مشروع ضخم جداً وبحاجة إلى متابعة من منظمات دولية. بالنسبة لنا نحن نحاول أن نساعد العائلات التي كفلناها من أجل إدخال أولادهم في المدارس وتأمين الكتب لهم، كما أن هناك حملة أطلقناها على الفيسبوك منذ أيام بعد أن طلبت منا مدرسة داخل الأراضي السورية عدداً من الكتب الخاصة بالصف التاسع.

| كيف ترون مستقبل عملكم خلال الفترة الانتقالية، وفي فترة ما بعد سقوط النظام؟

| | بالنسبة لنا كفريق نحن مستمرون بإذن الله في خدمة أهلنا أينما وجدنا، سنعمل على تأمين السكن والغذاء لهم سواء الآن أو حتى ما بعد سقوط النظام، فكلنا يعلم بأن هناك آلاف العائلات التي هدمت منازلها وهي بحاجة إلى تأمين مسكن لها حتى بعد سقوط النظام، سنحاول قدر الإمكان تقديم المساعدة لهم والوقوف إلى جانبهم فهم بالنهاية أهلنا وواجبنا خدمتهم لأنهم ضحوا لأجلنا حتى النهاية.

| سؤال نوجهه لكل من نلتقي به، لكن أرى أنكم أنتم كشباب يعمل على الأرض ويتواصلون مع الناس بشكل مباشر هم الأقدر على الإجابة عليه، هل ترون شعار (الشعب السوري واحد) هو مجرد شعار أم هو حقيقة وواقع؟

| | الشعب السوري لم يكن يوماً متكاتفاً مثل هذه الأيام، هناك عائلات نقدم لها طرداً غذائياً فيقولون لنا "إن كان هناك عائلات بحاجة أكثر منا فلتقدموه لهم"، هذا مثال من أمثلة كثيرة نصادفها يومياً، فالشعب السوري واحد بالتأكيد.

| كيف ترون مستقبل سوريا كشباب، وما هو شكل الدولة التي تريدون؟

| | مستقبل سوريا سيكون بإذن الله كما نريده مشرقاً، فنحن كلنا أمل بأننا سنعمر سوريا ونجعلها أجمل وأجمل، نريد سوريا كما يريدها أغلب الشعب، سوريا الحرية والديمقراطية، سوريا للجميع، فالوطن فوق الجميع.

| كلمة أخيرة؟

| | نحن أعضاء فريق ملهم التطوعي نقدم الشكر لكل من ساهم في تأسيس هذا الفريق ليكون خير سند لأهلنا اللاجئين، نحمد الله تعالى الذي اختصنا لنوصل المساعدات إلى أهلنا، ونلامس جروحهم، ونخفف من آلامهم.

نناشد كل سوري حر فوق كل أرض بأن يحاول مساعدة أهلنا اللاجئين في تركيا والأردن ولبنان وفي المناطق المحررة داخل سوريا، فهناك العديد من الجمعيات الخيرية ذات السمعة الطيبة التي تقوم بإيصال المساعدات إلى من يستحقها، وواجب على كل إنسان أن يقوم بدعمها.

صفحة الفريق على فيس بوك:

facebook.com/molhamteam

شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟

أنك تنزل الضهر تقعد بقهوة رصيف وتشوف اكتر من تلاتين شب وصبية قاعدين مع بعض وعم يغنوا بالشارع أغاني عن الثورة وعم يشتموا النظام الحالي علنا، وانك تروح المسا تقعد بمطعم صغير تلاقي ناشطة (محجبة) متل الرائعة نوارا نجم عم تشرب كولا وقاعدة مع شباب وصبايا عم يشربوا بيرا وعم يخططوا كيف لازم تستمر الثورة وانك بنص الليل تشوف صبايا وشباب من كل الاتجاهات عم يغنوا أغاني بالشارع ضد الإخوان الحاكمين وعم يتهكموا على خطابات الحاكم هاد جزء كبير من الحرية يلي شعوبنا عم تطلبها وهاد كمان جزء من مهم من المقاومة الشعبية لأي نوع من أنواع الاستبداد تحت أي مسمى كان..

رشا عمران | أديبة سورية

هالا محمد

ورث النظام الكرسي.. لكنه لم يرث سوريا. لذا.. هو يفهم في الكرسي لا في سوريا. كل استبداد.. ديني.. أمني.. عسكري.. ليس سوى كرسي.. والكرسي يلي ما بيعجبك أحيانا دائما.. بفجّك.

زياد سعد الدين

جميع فضائيات الكره الأرضية والمريخ أفردت حيزاً كبيراً لانفجار السبع بحرات في دمشق وقرب سقوط النظام السوري بعد فقدانه السيطرة على البلاد والعباد. والإخبارية السورية تقول أن أنثى البطريق تتغذى على اسماك السلمون وتعيش في القطب الجنوبي.

ضياء تحقاخه

الموت والسوريين، قصة لا تنتهي وفيلم ليس له نهاية.. والأبشع من هيك انو ماعاد عرفنا مين إلي عم يكتب ويخرج..

أمجد بيازي

سياسة التفجير سياسة اتبعتها الميليشيات الصهيونية في فلسطين قبيل الاحتلال الإسرائيلي لإرهابهم وتهجيرهم من أراضيهم وهاهو النظام السوري يستنسخ كل السياسات القذرة لكل ميليشيا إرهابية قذرة عرفها التاريخ!..

فخر الدين فياض

يخيفني هذا الصمت العالمي والعربي في الآونة الأخيرة!!.. كانوا يثيرون ضجة "دبلوماسية".. مثل "تنكة" صدئة يضربها الربح.. ضجة "تسلينا" قليلا.. لبدوا اليوم صامتون.. وكأنهم يشاهدون الحلقة الأخيرة من مسلسل موتنا الأثير.. موتنا العظيم المتألق كموت ثور صارع أوغاد العالم وبلفظ أنفاسه الأخيرة واقفاً.. على إيقاعات جمهور همجي بليد.. اللعنة على عالم غابت عنه عينا دمشق!!..

صبحي حديدي

نقلة خطيرة، أقرب إلى إعداد فتيل فتنة، أن يطلق النظام صاروخ سكود من مطار جبلة الساحلي إلى جنوب سوريا: دمشق، ريفها، السويداء، ودرعا.

نزار بلبوس

عندما تم إعادة بناء الكعبة المشرفة أيام الرسول الكريم.. لم يخص الرسول الكريم فئة معينه أو قبيلة خاصة لبنائها لتميزها بخصوصية معينه كأن ينتمي إليها.. فقد تم بناءها بأيادي رجال القبائل الأربع وحتى عندما اختلفوا على من يضع الحجر الأسود في مكانه إلا أن تم بأن يحمل على قطعة قماش ويحمل من كل زاوية سيد القبيلة إلى المكان ثم وضعه الرسول في مكانه.. وهكذا سوريا لا يمكن أن يتم بناؤها إلا بواسطة كل أبنائها على اختلاف انتمائهم.. ولا تميز لأحد على أحد مهما كان انتماؤه..

سعاد جروس

بعد نهار مفجع.. استعار مساء دمشق لحزنه ريح باردة من كانون.. وشوارع فارغة إلا من الموت..

شيرين حايك

من بعد الثورة السورية، مفهوم الوطن كتير تغيير بالنسبة إلي. الوطن لا يعني شي. الوطن هو الناس.. هو مجموعة الذكريات والعادات الاجتماعية للي بتجمعنا مع هالناس لهيك صار اليوم المنحبكجي غريب عن وطني.. عن الصورة والمفهوم..

إيليا بركات

يا أيّها الطيّبون المؤمنون.. لا ترفعوا أيديكم الفارغة إلى السماوات ضارعين صاغرين.. بل احملوا دقيقَ الشقاءِ ملحَ الأخوّة وخمرةَ الروحْ.. إلى الإلهِ المتسوّل في عيونِ الفقراءِ خلفَ سياجِ مزارعِكم

ميلاد صقر

من شوي شفت فيديو الشباب بالجيش الحر كيف تحولوا من المعركة وإطلاق الرصاص إلى الدبكة بمجرد سماعهم لصوت الطبل.. نفس الحالة رح تتكرر بعد سقوط النظام بالنسبة لكتير مظاهر عم تخوف البعض فينا أنه رايحين على دولة عصور الظلام.. يا سيدي لا تخافوا ولا تتشائموا بس حضروا بكل حارة طبل ودبركة وشوفوا كيف الدبكة على الأصول.

سلام كواكبي

كتب أحد الأخوة المصريين قائلا: "الدليل على خيانة الثوار في سوريا هو عدم إطلاقهم لرصاصة واحدة على إسرائيل".. رغم الألم، فقد اضحكني حتى الثمالة.. وذكرني بأخ لبناني "حقوقي" ذكر منذ أشهر نفس القول ووأعدا بدعم الثورة إن هي أطلقت النار باتجاه إسرائيل.. وجهان لعملة واحدة من السوريالية السياسية، عجز كتاب الكوميديا السوداء عن استنباطها.

ياسر نديم سعيد

بعد كل هذا النقد للإخوان المسلمين لماذا لا نسمع رأي إعلان دمشق والشخصيات المستقلة والليبراليين والديمقراطيين المشاركين في المجلس والائتلاف الذين لم يتكلموا عن هذا الموضوع بعد لا مباشرة ولا بصورة غير مباشرة؟..

نضال أبو عمار

لابد من الحرية والديمقراطية أولا كشرط أساسي لنكون كالبشر ثم بعدها يمكن مناقشة تراثنا حذفا وإضافة وتعديل وإلا نكون ظلمنا أنفسنا وكذلك تراثنا الذي نعتز به. أما كل مقاربة حالية للتراث دون شرط الحرية فهي ظالمة ظالمة.

حنان معروف

حتى وإن كانت جبهة النصرة مرتبطة بالقاعدة.. سوريا لن تكون أفغانستان! و السبب بسيط أنه ليس في سوريا «طالبان» لتحتضن أي فكر متطرف.. سوريا بلد الحضارة والرقي والانفتاح لن تطيق الفكر التكفيري حتى في أوساط السنّة!.. وإذا كان لابد أن نخاف من التطرف فالأجدر أن نخاف من جهاديي حزب الله وكتائب إيران التي ملأت البلد.. تقتل وتذبح بوحشية غير مسبوقة.. بالتأكيد جبهة النصرة لها أجندات.. فمن ليس له أجندات!!!

و لكنها دخلت وساعدت الشعب المذبوح بالكثير من المناطق في حين تخلى العالم عنه، بينما إيران، (و التي لها أجندات أخطر بكثير)، على استعداد أن تمحي هذا الشعب برمته، قبل أن يرّف لها جفن، من أجل أجنداتها!

إيران هي من يحرك معظم خيوط الحكم في سوريا حاليا، فإن لم تتخلص من نظام الأسد بأسرع وقت، فاستبشروا بسوريا المحافظة الإيرانية قريبا.. ولنهنئ أنفسنا عندها بالانفتاح الإيراني والديمقراطية الملالية!.. بالنسبة لي أنا أبعد ما أكون عن أي فكر تكفيري أو متطرف، ولكن إذا أحاق بنا الخطر من كل الجهات، فعلينا أن ننتقي الأقل خطورة.. علينا معالجة الوباء قبل تجميل البثور والعقابيل التي قد تنتج عنه!

و إليكم مقارنة صغيرة تسهّل عليّ اتخاذ موقف مما يحدث الآن:

- الهيئة الشرعية سجنت.. الكتائب الإيرانية غيّبت!
- الهيئة الشرعية جلدت.. الكتائب الإيرانية عذّبت حتى الموت!
- الهيئة الشرعية قطعت رأس تمثال المعري.. الكتائب الإيرانية قطعت رؤوس الأحياء!
- الهيئة الشرعية حجّبت نساء.. الكتائب الإيرانية نحرت النساء مع أطفالهن!

أو ربما كان علي أن أسأل الطفلة الشهيدة يمان محمد سلطان من الصنمين مثلا.. ممن علينا أن نخاف أكثر؟!

لا الهيئة الشرعية ولا جبهة النصرة ولا من شابههم هو من أريد أن يحكم سوريا الغد.. ولكن إن أحكمت إيران قبضتها، لن يكون هناك سوريا الغد.. ولا بعد الغد!

فلا تختصروا هذه الثورة العظيمة بجبهة النصرة..

كفانا فرقة وتشتتا، والنظام يقصف المدنيين بالأسلحة المحرمة.. بينما نحن منشغلون ببيانات وإشاعات يرميها لنا النظام ليتلاعب بنا كالدمى..

كفانا أنانية وتخوف، والأطفال تذبح بالسكاكين.. بينما نحن نخاف أن كانت النساء ستجبر على التحجّب أم كانت محلات بيع الخمر ستغلق بالمستقبل..

لا تخافوا، فأنا كلي ثقة أن هذا لن يحصل.. لماذا؟ لأني أثق بعراقة هذا الشعب وأثق بكرامة شعب تجرأ وثار ضد نظام ليس له شبيه كنظام الأسد.. وهذا يكفيني!

يعني بصريح العبارة نحنا بدنا دعم.. بس هو الدعم تبع المصاري.. لأنو صرنا نعرف أنو الـ 1000 أو الـ 500 أو حتى الـ 100 ورقة يلي بتجينا من هون ومن هون هي أنضف وفيها بركة أكتر من كل الدولارات يلي خربت البلد.. ولكن الدعم يلي عم إحكي عنو.. فيكن تسموه.. دعم نفسي.. معنوي.. أو أي نوع من أنواع الدعم غير الربحي.. حدا يضحكلنا يا شباب.. بعرضي الضحكة بتخلينا نشتغل أكتر من كزا دولار.. وبتجيب نتيجة أكبر وأسرع.. وحياة ولادي يلي لسه ما جبتهن..

لينا محمد

الثورة المضادة: هي ذاك المكوّن الذي يقاوم ثورة الحرية أو يحاربها.

من أشكال المكوّن: شكل ظاهر يحاربها فكرياً وبالسلاح إن اضطر الأمر. وشكل مبطن (قليلاً): يوافق على ظاهرها في الخطاب، بينما يضمر عداء شديدا لها (الموقف الأمريكي من ثورات التحرر العربية مثالاً). والشكلان هما مجموعة من أصحاب السلطة والنفوذ الذين اعتادوا السلطة، أو أدمنوا عليها، وصار يصعب عليهم التعايش مع شكل آخر من الحياة. لكن المكوّن الأكبر، والأعمق: هو ذاك الذي في داخلنا: الخائف من التغيير، أو القلق من «عبء الحرية».

يبدو أن ذلك المكوّن (المبطن والعميق معاً) يعمل على تقمّص شكل ثورة الحرية ومظهرها دون بلوغها، إمّا لعدائه وعدم إيمانه بها، أو بسبب لعدم الوصول إلى جوهرها. وبعد التفاعل بين ثورة الحريّة وذاك المكوّن تنتج أشكال من الاستعباد الجديد، لها مظهر الثورة.

مثال: ثورة التحرر من التسلط «البطريركي»:

ومن أوضح مظاهره: (تدجين المرأة كزيّة منزل وادعة، أو خادمة في المجتمع بالأحرى).

ثورة التحرر من «الشبّيح» الإجتماعي\ الديني\ العسكري، والتي تفاعل مكوّن الثورة المضادّة معها: لينتج شكلا جديدا من المرأة المدجّنة: المرأة «الباربي».

لتوافق هوى «الشبّيح» ذاته والذي تغيّرت بعض مظاهره ومكوّناته فقط.

مروان زكريا

(بشار الأسد): ثمّة شروط للدكتاتور لا تتوفّر في شخصيّة بشار الأسد، صدام حسين كان يتّضح بالرجولة المشرقيّة التقليديّة (شوارب، استخدام البارودة الكلاشينكوف، سمار بدوي)، القذافي كان يمتلك موهبة كاريكاتوريّة طريفة في السخرية والفكاهة، شهوة السلطة كانت تلمع بذكاء في عيون حسني مبارك. كلمة ديكتاتور كثيرة على بشار الأسد لأنّه مزيج غير متجانس من البياخة والفزلكة والادّعاء، إنّه من ذلك النمط من الأشخاص الذين يجلسون إلى جانبك في السرفيس ولا يثيرون انتباهك، أو لا تقتنصهم عينك في حشود المارّة في السوق. من أهم تجليّات «التطوير والتحديث» المملة عندما يظهر بالبنطلون الجينز مع أسنانه البيضاء هو وعائلته النظيفة الموقرة أثناء أكل «بوظة بكداش».

دارا عبد الله

يا قاتلي!!
أحسنت في اغتيال دمي ولحمي
وحارت فيك الوسيلة
للقصاص من روحي دونما جدوى..
فهي حرة..
تحوم في كل مكان..

سامرينا مستو

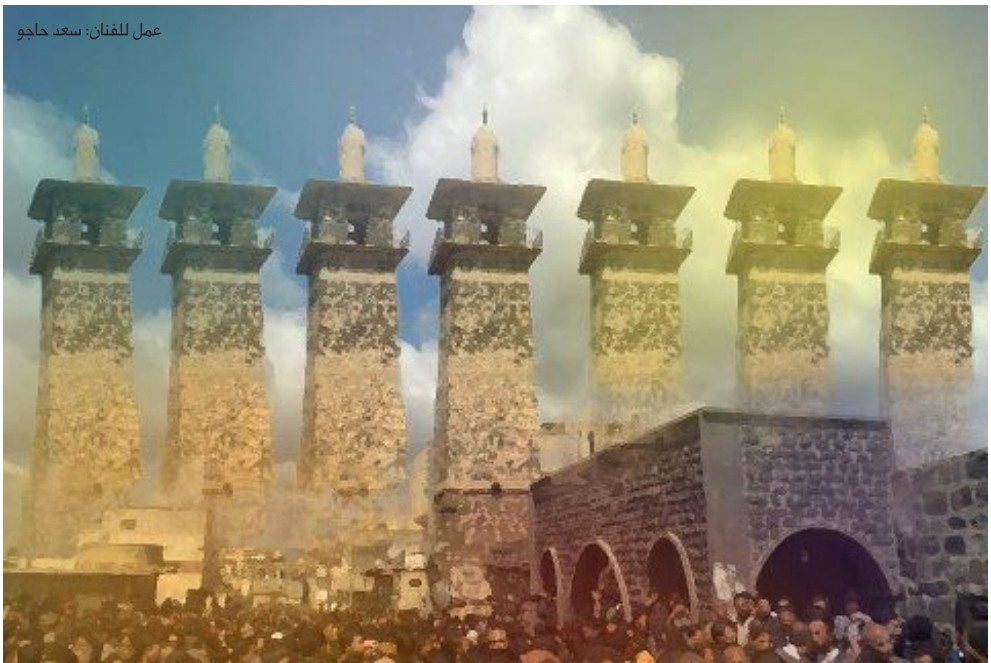

عمل للفنان: سعد حاجو

خانـــات دمشـــق (2)

■ بلال سلامة

كان للخانات خلال عهد الاحتلال العثماني تصميم يتميز بأنه مربع المسقط إجمالاً وغالباً مكون من طابقين، وله أبراج للمراقبة. وقد يحيط به سور خارجي مدعّم وبوابة مصفّحة ضخمة محكمة الإغلاق ليلاً. وكانت غرف المسافرين موزّعة بين الطابقين أو في الطابق الأعلى فقط. وفي بعض الخانات المتواضعة البسيطة كانت قاعة النّوم مشتركة يرقدُ فيها المسافرون على منصّاتٍ مرتفعةٍ عن الأرض، ويستعملون هذه المنصات نهاراً للجلوس عليها.

ومن الملاحظ أنّ خانات السّهول كانت أوسع من خانات الجبال، كما كانت خانات البلاد الباردة تخلو من الصّحن المكشوف. وقد أخذت الخانات إجمالاً بعد انتشار الإسلام تصميمين رئيسين، الأوّل إيراني بقاعات متطاولة موازية للصحن المركزي، وكان للبوابة شأناً كبيراً في هذا التصميم. أمّا التّصميم الثاني فهو بأربعة أضلاع وصحن مركزي تحيط به الأروقة، ويعرُف بالطّراز الشامي.

استعملت في بناء الخانات مواد اختلفت باختلاف الموقع، فقد تكون من طين أو من قرميدٍ مشويّ أو نيء، أو منّ حجارة كلسية أو بازلتيّة. ومع مرور الزمن قامت حول الخانات تجمّعات سكنية أصبحت مُدناً فيما بعد مثل خان دنون وخان أرنبة وخان الشيح وخان شيخون.

خان أسعد باشا العظم

يقع خان أسعد باشا العظم في منتصف سوق البزورية داخل أسوار مدينة دمشق القديمة على يمين الداخل إلى السوق من جهة سوق مدحت باشا يحده شمالاً حمام نور الدين زنكي، ويحده جنوباً خان الرز يفصل بينهما جادة سوق الصقالين، ويحده شرقاً زقاق السلمي والبيوت العربية القديمة، ويحده غرباً خان العمود يفصل بينهما سوق البزورية.

بناه والي الشام العثماني أسعد باشا العظم في العهد العثماني إبان خلافة السلطان محمود الأول، واستغرق بناؤه عاماً ونيف من سنة 1751م إلى سنة 1753م، وهو أكبر محطة استراحة استراتيجية على طريق الحرير وطريق قوافل الحج في دمشق، وسوقاً كبيرة ليتبادل التجار القادمون إلى الشام بضائعهم الثمينة فيه، وليصبح من أجمل وأعظم خانات الشرق قاطبة. وصار لهذا الخان شهرة عظيمة وكان الرحالة وكل من زار دمشق لابد له من العروج إلى خان أسعد باشا ومن أشهر هؤلاء الرحالة الشاعر الفرنسي (ألفونس دو لامارتين أحد زعماء المدرسة الرومانسية بفرنسا) خلال زيارته لدمشق سنة 1833م، وذكر في كتابه (رحلة إلى الشرق) أن خان أسعد باشا من أجمل خانات الشرق وأن قبابه تذكره بعظمة وضخامة قبة القديس بولس في روما وأبدى إعجابه الكبير بباب الخان والذي قاله عنه: "إنه قطعة من العمارة الإسلامية التي لا نظير لها في العالم، وأن شعباً فيه مهندسون لديهم الكفاءة لتصميم مثل هذا الخان وعمال قادرون على تنفيذ مثل هذا البناء لجدير بالحياة والفن والاحترام".

تعرض الخان بعد بنائه ببضعة سنين إلى هزة أرضية ضربت دمشق ومعظم مدن بلاد الشام في عام 1759م، مما أدى إلى سقوط ثلاث قباب من أصل قبابه التسعة بحسب رواية الشيخ أحمد البديري الحلاق، أو خمس قباب بحسب رواية أخرى للقساطلي.

تبلغ مساحة الخان الإجمالية حوالي 2500 متر مربع، ويبلغ طول واجهته الغربية المطلة على سوق البزورية 47 متراً، وتحتضن هذه الواجهة بوابة الخان الكبيرة الحجم ومسجد صغير ومخازن تجارية، أما واجهته الجنوبية المطلة على خان الرز وسوق الصقالين فيبلغ طولها 52 متراً تتوزع فيها المحال التجارية. والواجهة الشرقية هي سور أصم يطل على زقاق الحي المجاور، أما واجهته الشمالية فيصل طولها إلى 25 متراً ولكنها محجوبة بالمباني كحمام نور الدين والمدرسة الكاملية التنكزية.

صمم بناء الخان من طابقين، استخدم الطابق الأرضي من الخان ليكون سوقاً للتجار يبيعون فيه بضائعهم وكمستودعات، في حين خصص الطابق الثاني للنوم ولراحة الزوار وتجارة القوافل. ويحيط بالبناء باحة مسقوفة بتسع قباب يدخل إليها من الباب الرئيسي عبر دهليز واسع.

بوابة الخان فخمة جداً، فهي تتألف من إيوان واسع يتقدم الباب، يحتوي في جانبيه على مقعدين من الحجر، معقود أعلاه بالمقرنصات، والدلايات الحجرية، تنتهي في أعلاها بشكل الصدفة على شكل نصف قبة، ومما يروى أن ياقوتة ثمينة كانت موضوعة فوق الباب وأن ثمن الياقوتة هذه كان يكفي لإعادة بناء الخان لو تهدم.

يتوسط الخان فسحة مربعة طول ضلعها حوالي 27 متراً، وهي مرصوفة مبلطة بالحجر البازلتي الأسود ويتوسطها بركة ماء كثيرة الأضلاع كانت تتغذى من مياه نهر القنوات، وهذه الباحة مسقوفة بكاملها بالقباب التسع الموزعة على ثلاثة صفوف، محمولة على أربع وعشرين عقداً، تستند على جدران الخان من ناحية، وعلى عضائد أربع في وسط الباحة.

وقباب الخان متماثلة يبلغ قطر كل منها ثمانية أمتار، وترتفع عن أرض الخان اثنين وعشرين متراً، وتتألف من أربع أجزاء حيث أنها تتكون من قاعدة مربعة، فيها أربعة عقود كبيرة يصل بينها أربع مثلثات كروية، تحتل الزوايا، يليها رقبة القبة والمكونة من ستة عشر ضلعاً في كل ضلع نافذة مستطيلة، ويلي الرقبة طاسة القبة وهي مبنية بالآجر ومزينة في الداخل بالزخارف الجصية، وفي قمة الطاسة منور يمد الباحة بالنور ويمنع تسرب مياه المطر. لكن الزلزال أصاب ثلاث قباب أو أكثر وأزال عناها عناصرها العليا: الرقبة والطاسة والمنور.

بقي هذا الخان العظيم يؤدي وظيفته كخان رسمي حتى بدايات القرن العشرين عندما انتشرت الفنادق في ساحة المرجة وما جاورها من المشيدات إلى أن انتقلت ملكيته إلى تجار سوق البزورية حين بدأ التجار باستخدامه كمستودع لبضائعهم.

خان سليمان باشا

يقع خان سليمان باشا داخل أسوار مدينة دمشق القديمة في منتصف سوق مدحت باشا على يمين الداخل إلى السوق، يقابل الخان سوق الخياطين وسوق البزورية في محلة الدقاقين. كان الخان يعرف بالماضي باسم خان الحماصنة لكون تجار مدينة حمص ينزلون فيه مع قوافلهم وبضاعتهم لبيعها في أسواق دمشق. ولكن الخان فقد أهميته كخان في نهايات القرن التاسع عشر عندما تحول مغزى استخدامه من خان لنزول القوافل التجارية فيه إلى مستودعات للبضائع التجارية.

يعتبر خان سليمان باشا ثاني أكبر الخانات الشامية ضخامة بعد خان أسعد باشا العظم، وقد ابتدئ ببناء هذا الخان بأمر من الوالي العثماني سليمان باشا بن ابراهيم العظم سنة 1732م وانتهى في 1736م.

يتألف الخان من جبهة حجرية خارجية سوداء بازلتية وبابه أيضاً يرتكز على قوس بازلتي الحجر متقشف خالي من المقرنصات وبقية العناصر التزيينية ويفتقر إلى الزخارف، ويتألف من مصراعين كبيرين ومصفح بألواح معدنية على طول المصراعين مثبت عليه مسامير ضخمة تشبه إلى حد كبير طراز أبواب مدينة دمشق المصفحة، ويوجد في درفة الباب اليمنى باب صغير (باب خوخة) كان مخصصاً لدخول الأفراد دون الحاجة لفتح مصراع الباب بالكامل، وعند دخول القوافل والجمال كانوا يفتحون مصراعي الباب لسهولة دخول الجمال والبغال والخيول منه.

أما بناء هيكلة الخان الداخلية فهو مبني بالكامل من الحجارة الأبلقية كباقي معظم الخانات، ويمتاز بباحة كبيرة الحجم مستطيلة الشكل مرصوفة بالحجارة البازلتية، وطول ضلعه أكثر بضعفين من عرضه وقد بني من طبقتين بحيث تطل جميع الغرف على باحة الخان التي كانت مغطاة بقبتين كبيرتين جميلتين زالتا ومازالت آثارهما باقية، الأولى كبيرة ما زالت محافظة على شكل بنائها الأصلي، والثانية بنفس حجم الدائرة ولكنها صغيرة تم تضيق قبتها لعدم تمكنهم من إعادة بنائها كما كانت كانت.

في منتصف الباحة توجد بحرة ماء مستطيلة الشكل كانت تتغذى من مياه نهر القنوات، يحيط بباحة الطابق الأرضي والمفتوحة على فسحة الخان الداخلية سبع عشرة غرفة ومخزن بالإضافة إلى إسطبلات للدواب ودورات للمياه، تتميز هذه الفسحة ببروز الأقواس على نوافذ الغرف الموجودة داخل دعائم القناطر القائمة على ستة قناطر ضخمة، اثنتان كبيرتان مع طول الأقواس واثنتان قصيرتان على اتساع القاعدة وكانت هي حاملة لقباب الخان. أما الطابق العلوي لخان سليمان باشا فيحتوي على ثلاثين غرفة خاصة لنزلاء الخان لها نوافذ وأبواب جميلة منمنة موصولة مع بعضها البعض بشرفة على طول الخان والمبني إجمالا من الحجارة البازلتية.

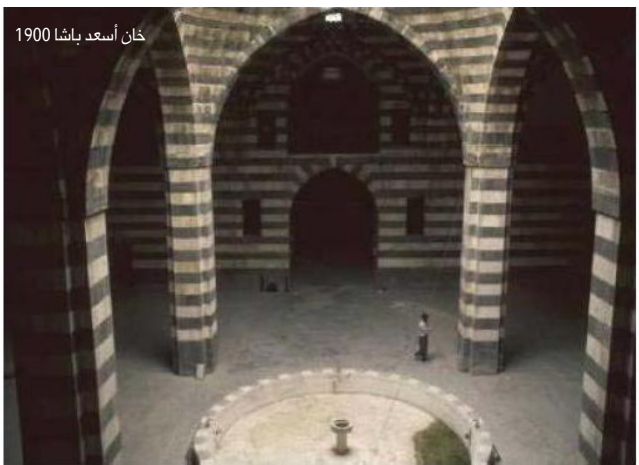
خان أسعد باشا 1900

عن الثورة والخوف

السوق المستقيم | مدحت باشا

■ جوليا شحادة
سعاد يوسف

ما يزيد عن السنتين من عمر الثورة، أو الأزمة، أو الانتفاضة السورية. تختلف التسميات، لكن لا يختلف التغيير الكبير الحاصل في المجتمع السوري بكل مكوناته. من السوريين من انضم للثورة أو لمؤيدي النظام بشكل كلي، ومنهم من حاول أن يحتفظ بأكبر قدر ممكن من الطبيعية في مجريات حياته، إلا أن ذلك لم يستطع منع ما يحدث في سوريا من التأثير عليه بشكل أو بآخر.

وفي الوقت الذي يشتد فيه صوت المعركة في دمشق، يبقى المدنيون ومن اختاروا البقاء خارج إطار العنف هم الأكثر تأثراً. أوضاع معيشية صعبة، قلق وخوف، صعوبة في تأمين مستلزمات الحياة الأساسية وغلاء فاحش في الأسعار هو المشهد الأساسي لمدينة دمشق اليوم.

تقول "ماري" وهي سيدة تقيم مع زوجها وأولادها في أحد أحياء مدينة دمشق والتي يقطنها مزيج من عدة طوائف: "لست راضية عما يقوم به النظام من قتل وإبادة للمدنيين، وأعلم يقيناً أن الشعب السوري عانى الكثير في العقود الماضية وأن مطالبه محقة، إلا أنني كذلك لست راضية عن الكثير من تصرفات المعارضة سواء كانت السلمية أو المسلحة. بصراحة أنا لا أهتم بالسياسة وكل ما أحلم به هو حياة كريمة لي ولأطفالي. أعتبر نفسي محظوظة إذ لم أخسر عملي حتى الآن إلا أننا نعاني من أجل تأمين المواد الأساسية من مازوت وبنزين وخبز، خصوصاً مع الارتفاع الهائل للأسعار".

وعند سؤالنا ل"ماري" في ما إذا كانت تفكر بالسفر أم لا أجابت: "سوريا الآن تتعرض لتدمير شامل على جميع الأصعدة، وانفراج الأزمة لن يعني أن الوضع سيستقر على الفور، فإعادة بناء وإعمار البلد ستتطلب سنين طويلة، ونحن نفكر بأننا لن نستطيع أن نبني مستقبلاً جيداً لأولادنا هنا. إلا أننا لا زلنا عاجزين عن اتخاذ قرار بالسفر. شيء ما يربطنا بشدة بسوريا ويمنعنا من مغادرتها، رغم أن الحياة هنا أصبحت متعبة ومملة ومخيفة. كل يوم وأنا أقود السيارة عائدة بأولادي من المدرسة أفكر: ماذا لو حدث تفجير هنا؟ هل سنموت جميعاً؟ هل سأموت أنا ويبقى أولادي وحدهم عاجزين عن معرفة طريق العودة إلى المنزل؟ هذا هو أكثر ما يخيفني. "

أما "سنا" وهي شابة تقيم مع زوجها في حي مختلط على أطراف المدينة فتقول: "تعلمت من الماضي أن هذا النظام ظالم، وأنه كي تعيش في هذه الوطن بكرامة عليك أن تدفع الثمن مرتين، وربما أكثر.

أحاول أن أبتعد عن التدخل بالشؤون السياسية قدر الإمكان، ما يحدث لا يعنيني إلا من الناحية الإنسانية، يؤلمني ألم الآخرين ولا أشعر أني منفصلة عنه، ولكني ربما أرغب بحياة مريحة أكثر، أتمنى لو أن الثورة حدثت قبل ولادتي، أشعر بالفخر طبعاً أنني أعيش هذه الأحداث ولكن في الوقت نفسه أعي أن أجمل سنوات عمري تنقضي وسط هذا التشوه والقتل والدمار، إضافة إلى اعترافي بأنني أخاف كثيراً من التعرض للاعتقال والتعذيب. "

ولدى سؤالنا لها عن الأثر المباشر للثورة على أحداث حياتها أجابت "تعرفت إلى زوجي في الجامعة، قررنا الزواج وفي بداية عام ٢٠١١ (يوم تنحي حسني مبارك) تقدم لخطبتي، وهنا بدأت الصعوبات. تأمين السكن، إقامة حفل زفاف والذهاب لقضاء شهر عسل. في داخلي كنت أتمنى أن أحظى بحفل الزفاف الذي أحلم به لكن كثرة الأحزان لجمتني، وقررنا أن يقتصر الأمر على حفل متواضع في منزل والدي. كما ألغينا فكرة شهر العسل عند بداية قصف دمشق في منتصف شهر تموز الماضي، فلن نغادر ومدينتنا تحت النار. وهكذا قررنا بدء حياتنا المشتركة بلا أي مظاهر للفرح ما عدا فرحنا الداخلي بوجودنا معاً. "

وعن طريقتها في الاستمرار تقول سنا: "ليست لدينا خطة للسفر حالياً رغم ظروف العمل السيئة. بعد زواجنا بمدة قصيرة خسرنا عملنا أنا وزوجي وبدأنا التفكير في إنشاء مشروع بسيط يساعدنا على شغل وقتنا وتأمين تكاليف المعيشة. بدأت بالعمل في صنع الإكسسوارات اليدوية، والاستمرار في هذا العمل يبدو صعباً في ظل غلاء أسعار المواد الأولية وعدم توفرها أحياناً إضافة إلى عدم وجود سوق محلية لتصريف البضاعة، ولكن رغبتي في الاستمرار ومواجهة القتل والدمار بالفن والألوان شجعتني على المضي قدماً. ما زلت أخشى الموت، زوجي يذكرني في كل لحظة لكي يحضرني نفسياً ولكي لا أجفل وأصرخ وأقفز كعادتي "الآن ستسمعين صوت قذيفة!" حيث يقع منزلنا بالقرب من أحد المواقع التي تتمركز فيها مدافع النظام لقصف المدينة. مؤخراً اكتشفت أن صوت القصف يشكل تحدياً بالنسبة إلي، عندما أكون وحيدة وأسمع صوت خروج القذيفة أبدأ بالإسراع للانتهاء مما أقوم به، لا أرغب بترك شيء ناقص ورائي في حال حصل شيء. ولكن لو قدّر لي الاختيار بين سرعة الانتهاء من عملي وبين توقف هذا الألم اليومي، لاخترت أن يصمت المدفع إلى الأبد وليبقى عملي منتظراً، عندما تصمت المدافع سيكون أمامي حياة كاملة للعمل والأمل. "

لا زال الكثير من المدنيين في دمشق والتي يحاول النظام جاهداً الحفاظ على سير الحياة الطبيعية في مركزها يصرون على التمسك بمظاهر الحياة الاعتيادية، ربما رغبة منهم في عدم الانخراط في صراع لا يحسون بأنه يعنيهم إلى هذه الدرجة أو تلك، وربما كان حنيناً إلى حياة آمنة افتقدوها منذ الصيف الماضي حين بدء معركة دمشق في تموز / يوليو الفائت.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (56640)

ادلب: 6691
الحسكة: 346
الرقة: 579
السويداء: 44
القنيطرة: 200
اللاذقية: 738
حلب: 8894
حماه: 4134
حمص: 9046
درعا: 4958
دمشق: 4340
دير الزور: 3715
ريف دمشق: 12608
طرطوس: 82

4169 عدد الأطفال الذكور
1837 عدد الأطفال الإناث
3834 عدد الإناث
11704 عدد العسكريين
44936 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 13 / 4 / 2013
http://www.vdc-sy.info/